حديث القلب

تأليف

الدكتور عبد المجيد البيانوني
عضو رابطة الأدب الإسلاميّ العالميّة
المشرف العلميّ على موقع الميثاق التربويّ

1426هـ

الطبعة الأولى 1423هـ
الطبعة الثانية 1426 مزيدة ومنقّحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الأئمّة الربّانيّين والأساتذة المربّين الذين لا أنسى مواقفهم ، ولا زلت أتعلّم منهم ، وأجد بصماتهم في حياتي ..

وإلى الآباء والمربّين الذين يهمّهم أمر التربية ، كما يهمّهم مستقبل الأمّة ..

وإلى أبنائنا الناشئين أداءً لبعض حقّهم علينا ..

أهدي هذه الرسالة أداء لحقّ النصح ..

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

قال الله تعالى : { إنّ في ذلك لذِكرَى لمن كانَ لهُ قَلبٌ ، أو ألقَى السَّمعَ ، وَهُوَ شَهِيدٌ } ق .

قال الله تعالى : { والذين آمنوا أشدّ حبّـاً لله ..} البقرة 165 .

وقال تعالى : { ياأيها الـذين آمنـوا ، من يرتـدّ منكم عن دينه فســوف يــأتي الله بقــوم ، يحبّهم ويحبّونه .. (54)} المائدة .

وفي الحديث الصحيح : (ألا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً ، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، ألا وَهِيَ القَلْبُ) رواه البخاريّ ومسلم .

طابت بحبّ المصطفى الأوقات وتزيّنت بمديحــه الأبـيـاتُ
إن المحبّة في القلوب حياتها وجميع من جهلوا الهوى أمواتُ
أثبتّ حبي مذ نفيت به السوى والنفي يأتي بعده الإثباتُ
إن تدّعي الأمم السوابق أن في الر رسل الكرام نظيره قل : هاتوا

الشيخ عيسى البيانوني رحمه الله تعالى

وهذا الحبّ أورثني كمالاً هديت به إلى نهج رشيدِ

الشيخ أحمد عـزّ الـدين ابن الشيخ عيسى البيـــانوني رحمهما الله تعالى

وقال الشاعر :

تعصي الإله وأنت تزعم حبّه هذا لعمري في القياس بديعُ

لو كان حبّك صادقاً لأطعتهُ إنّ المحبّ لمن يحبّ مطيعُ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الطبعة الثانية

الحمدُ لله الذي بتحميدِه يُستفتَحُ كُـلُّ كتَـابٍ ، وبـذكرِه يُصـدّر كـلُّ خطـابٍ ، وبحمدِه يتنعّمُ أهلُ النعيم في دارِ الجـزاءِ والثواب ، وباسـمِه يُشـفَى كُـلُّ داء ، وبه يُكشفُ كلُّ غمٍّ وبلاء ، وإليه تُرفعُ الأيـدي بالتضرّعِ والدعاء ، في السرّاءِ والضرّاء ، والشـدّةِ والرخـاء ، وهو سامعٌ لجميـعِ الأصوات ، بفنـونِ الخطـاب على اختلافِ اللغـات ، ومجيبُ الـدعاءِ للمضطرّ ، فلـهُ الحمـدُ على كـلِّ ما أوْلى وأسـدى ، وله الشكرُ على كـلِّ ما أنعمَ وأعطَى ، وعلى ما أوضح من المحجّةِ وهدى ..

وأصلّي وأسـلّم على المبعـوث رحمة للعالمين ، سيّدنا ومولانا

وبعد ؛ فلا يزال الوجود الإنسانيّ يئن من وطأة المادّيّة ، التي لا تقف عند حدّ ، وقد أحالت حياة الإنسان إلى ما يشبه الآلة الصمّاء ، ومزّقتها بين رغبات الجسد الهائجة الجامحة

، وما تفرضه من اللهاث وراء المال ، للوصول إلى وسائل المدنيّة والرفاهية .. وبين الانصراف عن الدنيا ، والإعراض عن مطالب الفطرة الحيويّة ، والاستغراق السلبيّ في تلبية رغبات الروح ، ولو بطريقة غارقة في الجهل والخرافة ، والكذب والتضليل .. وبين هذين الاتّجاهين تنحطّ المجتمعات البشريّة إلى أسفل سافلين ، ويدفع الإنسان الثمن باهظاً من صحّته النفسيّة ، واستقراره النفسيّ وأمنه ، وسعادته التي يتطلّع إليها في هذه الحياة ، ويغادر الدنيا كما دخلها ، لم يحسن لها فهماً ، ولم يذق للسعادة فيها طعماً ..

وعلى الرغم من هذا الواقع الذي يشترك في تشخيصه كثير من عقلاء الأمم ، فإنّ الحضارة المعاصرة حضارة عليلة معوجّة ، تقدّس الجسد ، وتزري من شأن الروح ، ولا تزال تصرّ على الانطلاق من الفلسفة المادّيّة ، التي اكتوت بنارها ، ذاقت ويلاتها ، وكأن لسان حالها يقول : وداوني بالتي كانت هي الداءُ .. فلماذا تتّخذ هذا الموقف ، وتصرّ عليه ، وهي ترى بأمّ عينها أنّها تنحدر نحو الهاوية .؟! إنّها بكلّ بساطة لأنّها لا تجد بديلاً يقدّم لها ، بصورة حضاريّة جذّابة ، تجد فيه برءها

وشفاءها .. والبديل عندنا وفي أيدينا نحن أمّة الإسلام .. ولكنّنا إذا لم نكن محسنين به لأنفسنا ، فكيف نحسن به إلى غيرنا ، ونتقن فنّ عرضه عليه .؟!

إنّها إشكاليّة مزمنة ، لا تزال الأمّة تعاني منها ، ولا يزال أولو النهى يبدئون ويعيدون فيها منذ أكثر من نصف قرن ، ومع ذلك تتوزّع الأمّةَ شتّى الاتّجاهات ، التي تنأى بها عن هذه الغاية ، ولا تقترب منها .. بل تسير بها على عكس الاتّجاه .. وتجرّ على الإنسانيّة شتّى الويلات .. وتتحمّل الأمّة بذلك قدراً لا يستهان به من أوزار تقلّب الآخرين في متاهات التخبّط والضياع .. فضلاً عن تخلّفها هي وضياعها ..

وإنّ أهمّ ما تميّز به ديننا الحنيف تلك النظرة المتوازنة لكيان الإنسان ، التي بنيت عليها جميع مقاصد الشريعة وأحكامها وتكاليفها ، وهي مظهر جمال هذا الدين وجاذبيّته ، وسرّ تلاؤم الإسلام مع الفطرة ، واستجابة الفطرة لدين الله ، ممّا يشهد به

المخالفون لهذا الدين ، قبل أن يشهد به أولياؤه ومحبّوه ..

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

الحمد لله ربّ العــالمين ، الــرحمن الـرحيم ، مالك يـوم الـدين ، أحمـده حمد الشاكرين ، حمـداً يـوافي نعمه ، ويكـافئ مزيــده ، كما ينبغي لجلال وجهه ، وعظيم ســلطانه ، حمــداً لا منتهى لحــدّه ، ولا محصيَ لعـدّه إلا ما أحـاط علمه ، وأحصى كتابه ، حمداً كثيراً طيّباً مباركـاً فيه ، وهو الغفور الودود ، ذو العرش المجيد .

وأصلّي وأسلّم على عبده ورســوله ، ســيدّنا محمّد ، ســيدّ الأوّلين والآخــرين ، تـاج الكــون ، وغـرّة القــرون والســنين ، الرحمة المهـــداة للعـــالمين ، صـــاحب المقــام المحمــود ، واللــواء المعقــود ، والحوض المورود يـوم الـدين ، وعلى آله وأصـــحابه ، وأزواجه وأصـــهاره وذرّيته ، وأنصــاره وإخوانه ، وأتباعه بإحســان إلى يوم الدين ، وبعد ؛

فنحن في عصر غلبت فيه المادّية الجامحة ، على القلـــــوب والعقـــــول ، واســــتحكمت الأهـــواء والشـــهوات ، واســــتحوذت على النفــــوس ، وانقلبت المــوازين ، واجتــاحت القيمَ الأعاصــير ، على وفرة ما أخرجت المطابع من كتب ، وما قذفت أرحامها من مواليد ، لم تعرف النور من قرون ، وعلى كـثرة ما أبــدعت أبكار العقول من ثقافـات وفهـوم ، حـتى وصلت إلى حدّ التخمة والتكرار ، والترف الفكــــريّ ، البعيد عن ســـبيل العمل ، والشاغل عن الأجدى الأهمّ من احتياجات المنهج ومتطلّباته ،، مما جعلنا بحاجة ملحّة إلى إحياء ثقافة القلــوب والأرواح ، وأن نقيم جســــــور التواصل بين ثقافة العقل ، وثقافة القلب ، لإعطــاء القلــوب حقّها وغــذاءها من الحبّ الــذي به حياتها وروحها ، ولـــــردّ شــــباب الأمّة إلى حالة الاتّـزان ، الـتي تمثّل الصــورة الإسـلاميّة المشرقة ، التي بها تحلّ مشكلات الناس

المستعصــية ، ويحيــون الحيــاة الطيّبة ، ويسعدون .

وبعد ؛ فهــذه رســالة مــوجزة ، فيها جمل يســيرة ، ومقتطفــات من نبضــات قلوب المحبّين أثيرة ، أردت أن ألحق بها في السالكين ، عسى أن أكون من حداة الركب للســائرين ، وعسى أن توقظ في القلوب الغافية لـواعج الحبّ المسـتكنّ ، لتقبل على ما به حياتها وسعادتها ونعيمها ، وروحها وراحتها ، وعزّها في الـــــدارين ورفعتها ، ولا تكـــــون ممن يشـــــتري الخسيس بالنفيس فيكون في الآخرة من الهالكين .

وقد ســمّيتها : " حــديث القلب " .

والحديث فيها مقصود به تحقيق حبّ الله تعــالى ، وحبّ رســوله المصــطفى ، وذلك من مشـكاة قـول النـبيّ : (ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ أَنْ يَكُــونَ

اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْـهِ مِمَّا سِـوَاهُمَا ..) [1] .

وليس حـــــديثنا هنا عن أصل الحبّ الــذي هو فريضة محكمة ، وإنما عن نفله وفضــله ، الــذي هو روح حيـاة المـؤمن ، وسرّ سـعادته في الحيـاة الـدنيا ، وفـوزه في الآخــرة بصــحبة المصــطفى ، ولن أكثر فيها من نقل الأقوال ، التي تعبّر عن المحبّة وأذواق المحبّين وأفهـــامهم ، لأن ذلك يحتــاج إلى مجلّــدة كبــيرة ، ودونك المطوّلات كمـدارج السـالكين لابن القيّم رحمه الله وغيرها ، وإنما تهمّنا الأحـــداث والمواقف ، إذ هي التعبــير الصــادق عن أحـــوال النفس ، وهي الـــتي تـــؤثّر في النفس أكثر .

ولا يخفى أن حبّ المصطفى ملازم لحبّ الله والإيمان به سبحانه ، ولا ينفــكّ عنه ، وهو الوسـيلة إلى حبّ الله تعــالى وطاعته ، واتّبــاع أمــره واجتنــاب نهيه ،

1(?) ـ رواه البخاري في كتـاب الإيمـان بـرقم /15/ ومسـلم في كتاب الإيمان برقم /60/ .

ويأتي تبعاً لذلك الحبّ في الله تعالى لعباد الله المتّقين ، والبغض في الله لمن خرج عن منهجه أو حاد عن سبيله .

والله تعالى أسأل أن يحفظني من الزلل ، ويرزقني الإخلاص في القول والعمل ، وأن ينفع بهذه الرسالة ، ويجعلها موقظة لقلوبنا ، محرّكة لهممنا ، وأن يكتب بها الأجر الجزيل الكامل ، لكل من علّمني حرفاً ، أو أفادني نَفَساً ، وأخصّ بذلك من رأيت منه ، وذقت بمجالسته ، وتعلّمت من صحبته ، أحوال الحبّ الصادق ، والشوق المبرّح ، والأدب الجمّ ، والحنين المتصل إلى الله ورسوله ﷺ ، أستاذي وشيخي ، ومرشدي ومؤدّبي ، الشيخ أحمد عزّ الدين البيانوني ، رحمه الله تعالى ، وأجزل مثوبته ، ورفعه عنده في علّيين ، مع الذين أنعم الله عليهم ، من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً ، ذلك الفضل من الله ، وكفى بالله عليماً .

ربّنا تقبّل منا ، إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

جدّة ليلة الجمعة 12 / 3 / 1415 هـ .[1]

وكتبه راجي عفو ربه الكريم
له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين
عبد المجيد بن أسعد البيانوني

1(?) ـ وأنا أكتب هذه المقدّمة في هذه الليلة جاءني خبر وفاة والدي رحمه الله من المستشفى ، ثمّ شغلت عن نشر هذه الرسالة إلى أن يسّر الله تعالى مراجعتها والنظر فيها في غرّة ذي الحجّة من عام 1419 هـ .

حديث القلب

قوى الإنسان ومكانة الحبّ والعاطفة بينها :

في الإنسان ثلاث قـوى تحكم حياته ، وتوجّه سلوكه : قوّة العقل ، وقوّة الجسد ، وقــوّة النفس أو الــروح ؛ فقــوّة العقل تنتج عنها قوّة الفكر ، وأنواع الاختراعــات الماديّة والإبــداعات الــتي تخــدم حيــاة الإنســـــان ، وتحقّق رفاهيّته ، وتقلّل من تعب جسده ، وطول عنائه ، وقوّة الجسد تمكّن الإنســان من معالجة الأمــور الــتي تحتاج إلى قوّة العضلات ، وتعين الإنســان على الـــدفاع عن نفسه ، وتحقيق أمنه ، وســـلامة الجسد هي الســـبيل لتمكين الإنسان من ممارسة قواه الأخرى بسويّة واقتــدار ، وقــوّة النفس أو الــروح تســمو بالإنســان عن الاهتمــام الحيــوانيّ الــذي ينحــطّ به ، ويتــدنّى إلى مســتوى لا يليق بكرامته الــــــتي جعلها الله له ، ومكانته السياديّة المتميّزة في هذا الوجود .

وكلّ قوّة من هـذه القـوى تتطلّع إلى أن تأخذ حقّها ، وتكافح في حياة الإنســان

لتسـتوفي نصـيبها من تطلّعاتها ورغباتها ، كما أن ممارسة كلّ قوّة من هـذه القـوى الثلاث تشعر الإنسان بلذّة خاصّــة ، تغريه بمزيد من الحــــرص عَلَى ممارســــتها والاســــــتزادة منها كما أنّها تنعكس في الحالة الطبيعيّة الســـويّة على القــــوى الأخرى باللذّة والتأثير .

ولاشـــكّ أنّ مما يعين إحـــدى هـــذه القوى على أن تغلب ما سواها ، وتحـدث اختلالاً لمصـــلحتها في تفكـــير الإنســـان وسلوكه : إنما هو قوّة تركيب هذه القــوّة ، وتميّزها على القــوى الأخــرى ، فعنــدما تكون القـوّة الجسـديّة في إنســان ما في أوجها ، ويكــــون ممّن أوتي بســـطة في الجسم ، وعافية في البدن ، فإنّ هذا مما يعينه على أن ينخــــرط في الاســـتجابة لرغبات جسده بصورة أكبر ممّن لا يكـون كــذلك ، وعنــدما تكــون قــوّة العقل في إنســان ما في أوجها ، ويكــون ممّن أوتي عقلاً نيّــراً ، وذكــاء وقّــاداً فــإنّ هــذا مما يجعله يتّجه إلى التفكــــير والتنظــــير ،

والبحث والتأمّل ، ويجد في ذلك من اللــذّة والمتعة ما ينســيه رغبــات قــواه الأخــرى ، وعنــدما تكــون قــوّة الــروح أو النفس في إنسان ما هي الغالبة ، ويكون ممّن أوتي روحاً طموحاً ، ونفساً رقيقة ، فــإنّ هــذا مما يجعله يتّجه إلى الروحيّـات والغيبيّات ، ويحرص على التعــرّف عليها ، وتلبية أشـــــواق نفسه منها ، وقد يهمل رغبات قواه الأخرى ، ولا يبالي بها .

وهنا تتجلّى عظمة الإســلام إذ أمرنا أن نعطي كــلّ قــوّة من قوانا حقّها ، وألاّ نهمل قوّة من القوى ، أو نقصّر في حقّها على حساب قوّة أخرى ..

ولا يخفى أنّ وعي هــذه الحقــائق وإدراكها يعـــدّ على درجة كبـــيرة من الأهميّة إذ ينبــني عليها ســلامة الخطــاب الــدعويّ ، وحسن التعامل مع النــاس ، وأن يعطى كــلّ مـدعوّ حقّه من الخطـاب الـــذي يتناسب مع اهتماماته وتوجّهاته ؛ فالخطـاب العقليّ للإنسـان العـاطفيّ قد يـؤدّي إلى عكس ما نتــوخّى من التــأثير ،

والخطاب العاطفيّ للإنســان العقلانيّ قد يـــؤدّي إلى إســـاءة فهم ديننا ، وعـــدم الاستجابة لـدعوتنا ، والخطـاب العقليّ أو العـاطفيّ للإنسـان المتمـادي في تحقيق رغبـات جسـده قد لا يعـيره أيّ اهتمـام ، فلابـــــــــدّ لنا من أن نضع في اعتبارنا اهتماماته وتوجّهاته ، ونحسن دعوته وخطابه .

وإذا كـــان لنا أن نـــرجّح بين أنـــواع الخطـــاب ؛ فـــإن الخطـــاب العـــاطفيّ المرتكز على أسس عقليّة واضـــحة بيّنة يكـاد يكـون أرجح ما يـؤثّر في الإنسـان ، ويجتذب اهتمامه .

ولعلّ أهمّ ما يرجّح كفّة قوّة الـروح ، ويقدّمها على سـائر القـوى : أن الإنسـان كلّما تقـدّم به العمر ضـعفت قـوى بدنه ، وقـــــــــلّ اهتمامها بنوازعها ورغباتها ، وضـعفت قــوى عقله كــذلك ، وتــراخت حــدّتها وقــوّة توقّــدها ، وقــويت عواطف روحه ، وازدادت تطلّعاتها ، وتـــــأجّجت أشواقها ورغباتها .

ومن هنا كـــان الحـــديث عن الحبّ وتـأجيج عواطفه ، وتحريك أشـواقه أرجح حجّة ، وأوسع تأثيراً من الحديث الفكـريّ ، الـذي يخـاطب العقـول ، ويقـارع الحجّة بالحجّة .. ، ومــتى كــانت حجّة القلــوب ضـــعيفة واهنة ، وهي الـــتي تفتح عين البصـيرة ، وتسـمو بالإنسـان إلى آفـاق العمل والسلوك .؟!

وإن أعظم الحبّ وأخلده وأبقاه ما توجّه إلى الهدف الأسمى، والمقام الأعلى ، ألا وهو : حبّ الله ورسوله .

الحبّ لله ورسـوله أعظم المقامـات وأرفع المنــازل : وهو أعظم مقامــات الإيمــان ، وأرفع منــــازل الـــدين ، وركن العبوديّة الركين .

وهو المنزلة الـــتي فيها يتنـــافس المتنافســون ، وإليها يشـخص المجـدّون العاملون ، وإلى عَلَمها يشـمّر السـابقون ، وعليها يتفانى المحبون ، وبِرَوْحِ نسيمها يـتروّح العابـدون ، فهو قـوت القلـوب ، وغذاء الأرواح ، وقرة عيون الألبّـاء ، وهو

الحيـــاة الـــتي مَن حرمها فهو من جملة الأموات ، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات ، والشفاء الذي من عدمه حلّت بقلبه جميع الأسـقام ، واللـذة الـتي من لم يظفر بها فعيشه كله همـوم وآلام .

ومنزلة المحبّة هي روح الإيمـــــــان والأعمال ، والمقامـات والأحـوال ، الـتي مـــتى خَلَت منها فهي كالجسد الـــذي لا روح فيه ، تحمل أثقال السائرين إلى بلاد لم يكونـــــــوا إلا بشق الأنفس بالغيها ، وتوصـلهم إلى منـازل لم يكونـوا بـدونها أبـــداً واصـــليها ، وتُبَـــوِّؤهم من مقاعد الصدق مقامات لم يكونـوا لولاها داخليها ، وهي مطايا عبوديّة القــوم لله تعــالى ، الـتي مسـراهم على ظهورها دائمـاً إلى الحبيب ، وطـريقهم الأقـوم الـذي يبلغهم إلى منازلهم الأولى من قريب .

تالله لقد ذهب أهلها بشـــرف الـــدنيا والآخرة ، إذ لهم من معيّة محبوبهم أوفر نصيب ، وقد قضى الله يوم قـدر مقـادير

الخلائق بمشـــيئته وحكمته البالغة : " **أنّ المـــرءَ مَع مَن أحَبَّ** " [1] ، فيالها من نعمة على المحبين سابغة .!

مفقود لا يعوّض بشيء : ولقد فقدت أمّتنا منذ زمن بعيد روح الحبّ والحنـــــــان ، وغذاء القلوب والأرواح ، ولـذّة العواطف السامية ، الـتي تغطّي على جميع اللذائذ والطيّبات ، اللهمّ إلاّ ومضات هنا وهنـاك ، وغـــــرقت في اقتنــــاص لذائذ الجسد ومتعه ، من المطعم والمشـــــــــرب ، والملبس والمنكح ، واللهو واللعب ، والحـــــرص على الجـــاه والرئاسة على النـــاس ، ولقـــاء الخلان والتفـــوّق على الأقران .. فلم تخـرج من ذلك بثمـرة ولا طائل ، بل لم تـــزل تعـــاني من خـــواء القلب ، وتلهّف الروح إلى ما به سـعادتها ونعيمها ؛ ورحم الله الشـاعر المبـدع في تشخيصه وتحليله إذ يقول : " قاتل الله ذلك اليـوم الـذي مضى ، ولم أذق فيه لـذة الحب ، ولا بارك الله في السـاعة الـتي مضت ، ولم تهب فيها

1(?) ـ جزء من حديث فيه قصّة سيأتي بتمامه مع تخريجه .

نفحة من نفحات الحب ، وسحقاً للحياة إذا قضـيتها كلها في تحكيم العقل والخضوع للمنطق " .

" بل إن الحب هو محصـــول الحيـــاة ، ولبّ اللبــاب ، وقد أجــاد القائل : " نظـرت في هـذا العـالم فـإذا هو بيـدر واسع ، ونظـرت فيه فإذا " الحُبُّ " هو الحَبُّ الوحيد ، وكلّ ما عداه فهو تبن وحشيش ، وهشيم وحصيد " .

روح البطولة وســـرّ العظمة : هـــذا هو " الحبّ " الـــذي امتـــاز به من امتـــاز من الأبطال ، ونوابغ الرجـال والعبقـريين بين أقرانهم وأمثـالهم ، وعـاش به من عـاش من الضــعفاء وأوســاط النــاس ، وخلّف آثـــاراً عجز عن إنتاجها أقـــوى الرجـــال وأغناهم ، وملكه الرجـال فقهـروا الأمم ، وملكته الأمة فقهرت العالم .

هـذا هو " الحب " الـذي أفلست فيه هذه الأمة في العهد الأخير ، فملكت مالاً طائلاً ، وعلماً واسـعاً ، وجاهـاً عريضـاً ، ودولاً كثـــــــيرة ، ولكنها أفلست في " **إكسير الحياة** " ، فأصبحت جسداً ميتاً ، تحمله الحياة على أكتافها .

-

هذا هو " **الحبّ** " الذي فقدته هذه الأمة في العصور المتأخّرة ، فأصبحت تائهة وراء رموز الكفر والضلال ، مبلبلة الخاطر ، مشتتة القلب .

* طاقة أهدرناها ، فأهدرت طاقاتنا : هـذا هو " الحبّ " ، الذي كان من آثار فقـده ، في حيـاة الأمّة ما يبثّه الشاعر محمّد إقبال في شكواه : " يا ربّ ! إن المؤمنين قد انتثروا ، وكـاد المخلصـون أن ينـدثروا ، ولم تعد الصـحراء تـرى حـداة القوافل ، ولا المتعبّـدين في المنــازل .. ولا يهمّنا أن فاضت خــزائن الكفّــار بالنضــار ، ولكن الشـــكوى أن يصـــيبنا الفقر والقصـور ، حـتى لا نجد للجنّة صـداق الحـور ، ولا ثمن القصور ..

إن جمــال أمّة محمّد ، لا يــزال يجتــذب القلــوب ، بإشراقه السـاطع ، فـأحرق حبّ متـاع دنيانا بـذلك الشـرر من وميض محبّتك ، وأرسل فَراشك مـــرّة أخـــرى يطُف حول نار حبّك ، ومُر البرقَ القديم بإحراق القلوب الجامدة ، وأنقذ أبنــاء خــير أمّة أخــرجت للنــاس ، من ظلمة هــذا اليـــأس القاتل المميت ، وابعث فيها عـــزائم الصـــدّيق والفــاروق ، لتحمل المشـعل مــرّة أخــرى ، وترتــاد للأمم الطريق ..

ربّ اهد القلوب إلى قبلة الحجاز ، وأعطها جناحاً من الإيمـان لتعـرف قـوّة الطـيران .. ربّنا وأنت الحكيم القادر .! احلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ..

أعد الطيور المغرّدة إلى أغصان الصنوبر ، فقد فرّت من روضـها إلاّ بلبلاً ، يحمل في قلبه ضـجّة القيامة وهـول المحشر .. أعد الأوراق الذابلة إلى روضها الأخضر ، وجــدّد في المسلمين ظمأهم إلى حياض المحشر .. " .

الإفلاس المـروّع : هـذا هو " الحبّ " الـذي كـان من أعظم الطبقـات إفلاسـاً فيه : الطبقة العصـــرية المتعلمة في هـــذه الأمة ، فكـــانت أجوفها روحاً ، وأضعفها مقاومة ، وأخفها وزنـاً ، وأكدرها حياة ، وأضلّها عملاً .

وقد صـــدق شـــاعر الإســـلام محمد إقبـــال رحمه الله إذ قـــال : " إن كارثة المســـلمين في هـــذا العصر ، أنهم يحملـون القلـوب ، ولا يعرفـون المحبـوب .. أنهم يملكون مـادة الحبّ ، ولا يعرفـون من يشـغلونها به ، ويوجهونها إليه " .

إن الحبّ أعظم قـــــــوّة دافعة ، وعاطفة محرّكة ، وطاقة باعثة ، به يظهر الفـــرق جليـــاً بين إيمـــان المؤمـنين ، وأفكـار الفلاسـفة المهـوّمين ، وبه يكون الإيمان حياً نابضـاً ، بعد أن يكـون مغشّـى

-

بغشاوات الشهوات والأهواء ، مترعاً بحبّ الدنيا ، والسعي وراء حطامها ..

إن هذه القـوّة الدافعة ، والعاطفة المحرّكة ، والطاقة الباعثة عنـــــدما نحسن اســـــتغلالها وتوظيفها : تحـــــــرق لنا المراحل ، وتختصر لنا الطريق ، وتحبط مخطّطات أعدائنا ودسائسه ..

إن هـذه القـوّة الدافعة تـذيب من النفـوس رعوناتها ، وتسـتخرج منها أرفع ما فيها وأزكـاه ، ولا تـزال تقـدح زنادها ، لتشـرق أنوارها ، وتزكو أسرارها ، ويتألّق عطاؤها وإبداعها ..

إن هــذه القـوّة الدافعة ، والطاقة المحرّكة تحــرق الضــغائن ، وتســتلّ الســخائم ، وتغطّي مســـــــــاحات من الخلل في النفس لا تغطّى بســــواها مهما بلغ شــــأنه ، وتجعل النفــــوس المتنافرة كالجسد الواحد ، يحكمه القلب السـليم الذي اتّضح هداه ، وسماه على الأعراض هواه ..

إن هذه القوّة الدافعة تنهض بـالهمم الوانية ، فتلحق المقلّين المقصّـرين بــركب المكــثرين السابقين ..

وإنّ الحبّ إن لم يوجّه إلى الغايات الشريفة ، والأحــوال الزكيّة ، توجّه إلى الأهـواء المفسـدة ،

والشـهوات المـدمّرة ، وأصـبحت حيـاة الإنسـان بذلك تافهة رخيصة ، أسيرة مستعبدة ..

إنه طاقة ضـــــخمة ، لا تقبل الإهمـــــال والتعطيل ، وإلاّ فإنها تنقلب إلى قــوّة مفســدة مدمّرة .. كواقع حال أكثر أبناء الأمّة اليوم .

لقد اســتغرقت أهواؤنا وشــهواتنا هــذه الطاقة الحيّة ، والمنحة الإلهيّة البديعة ، وضيّعت منها الكثير الكثـير ، وراء فتنة الأمـوال والأولاد ، والجـاه والنسـاء ، والتفـاخر بالمظـاهر وأنـواع الزينات ..

هذا هو الحبّ الذي يسمو بالإنسان ويعليه ، وحقٌّ على كـلّ مكلّف أن يسـعى لنيل مكارمه ، والتمتّع بحلاه ، وما أحــرى العــاطلين عنه أن يستشـعروا عظيم الخسـران بما يفقـدون ، وأن يشــدوا بلســان الحــال والمقــال مع من أعلن ندبهم والحرقة على إفلاسهم :

على نفسه فليبكِ مَن ضاع عمرُه   وليس له فيها نصيبٌ ولا سهمُ

والذين آمنوا أشدّ حبّاً لله .! والذين آمنوا أشدّ حبّاً لله .! لأنّهم يدعون الله رغباً ورهباً ، ويعبدون الله في السرّاء والضرّاء ، ولأنّ

قلوبهم امتلأت بتعظيم الله تعالى وخشيته ، وإجلاله وهيبته .. ولا يلوّثون قلوبهم بالتعلّق بأحد سوى الله ..
والذين آمنوا أشدّ حبّاً لله .! لأنّهم يؤثرون مرضاة الله تعالى على أيّ هوىً أو رغبة ، ويبذلون في سبيل الله مهجهم وأرواحهم ، ويرون ذلك قليلاً في جنب الله ونصرة دينه .!
والذين آمنوا أشدّ حبّاً لله .! لأنّهم يأوون إلى ركن الله المكين ، ويتمسّكون بحبل الله المتين ، ويلوذون بحمى الله الذي لا يضام : { ومن يعتصم بالله فقد هُدِي إلى صراط مستقيم .. () } آل عمران .
والذين آمنوا أشدّ حبّاً لله .! لأنّهم يعيشون مع الله .. ويشهدون أنّ الكون بما فيه خلق الله وملكه ، وأنّ الأمر أمره ، والنهي نهيه ، وأنّه لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع ، ولا رادّ لقضائه ، ولا معقّب لأمره ، له الملك ، وله الحمد في السموات والأرض ، وله الحمد في الأولى والآخرة ..
والذين آمنوا أشدّ حبّاً لله .! لأنّهم يتقلّبون على الجمر ، ويتلذّذون بالصبر ، ولا ترهبهم قوّة ، ولا تأسرهم شهوة ، ولا

تحكمهم نزوة ، ولا يبالون بكيد ، ولا يحدّهم قيد ..

والذين آمنوا أشدّ حبّاً لله .! لأنّهم يشتاقون إلى الله ، ويحبّون لقاءه ، فيحبّ الله لقاءهم ، ويحسنون الظنّ بالله ، فيكرمهم الله بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ..

والذين آمنوا أشدّ حبّاً لله .! حقيقة تذهل عبدة الطاغوت ، وأولياء الشيطان ، وتقتلهم همّاً وغمّاً ، وتجعل مكرهم وخططهم في تباب ، وتذهب مع السراب .. حقيقة تجعل الصراع بين الحقّ والباطل أكبر من صراع الندّ مع الندّ ، مهما ملك الباطل من قوّة المادّة ، وأسباب القوّة ، ومهما وقف الحقّ مجرّداً منها .. وتجعل الباطل يتصاغر أمام هيبة الحقّ وعزّته .. { فأمّا الزبد فيذهب جفاءً ، وأمّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض .. () } الرعد .

قال الإمام ابن جزيّ في تفسيره لهذه الآية : " اعلم أنّ محبّة العبد لربّه على درجتين : إحداهما المحبّة العامّة التي لا يخلو منها كلّ مؤمن ، وهي واجبة . والأخرى المحبّة الخاصّة ، التي ينفرد بها العلماء الربّانيّون ، والأولياء ، والأصفياء ، وهي أعلى المقامات ، وغاية

المطلوبات ، فإنّ سائر مقامات الصالحين :
كالخوف ، والرجاء ، والتوكّل ، وغير ذلك ،
فهي مبنيّة على حظوظ النفس ، ألا ترى أنّ
الخائف إنّما يخاف على نفسه ، وأنّ الراجي
إنّما يرجو منفعة نفسه ، بخلاف المحبّة ، فإنّها
من أجل المحبوب ، فليست على المعاوضة .

واعلم أنّ سبب محبّة الله معرفته ،
فتقوى المحبّة على قدر قوّة وتع المعرفة ،
وتضعف على قدر ضعف المعرفة ، فإنّ
الموجب للمحبّة أحد أمرين وكلاهما إذا اجتمع
في شخص من خلق الله تعالى كان في غاية
الكمال : الموجب الأوّل : الحسن والجمال ،
والآخر : الإحسان والإجمال ، فأمّا الجمال فهو
محبوب بالطبع ، فإنّ الإنسان بالضرورةِ يحبّ
كلّ ما يستحسن ، والإجمال مثل جمال الله
في حكمته البالغة ، وصنائعه البديعة ، وصفاته
الجميلة الساطعة الأنوار ، التي تروق العقول ،
وتهيج القلوب ، وإنّما يدرك جمال الله تعالى
بالبصائر ، لا بالأبصار ، وأمّا الإحسان فقد
جبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها ،
وإحسان الله إلى عباده متواتر ، وإنعامه
عليهم باطن وظاهر : { وإن تعدّوا نعمة الله لا
تحصوها .. } ويكفيك أنّه يحسن إلى المطيع
والعاصي ، والمؤمن والكافر ، وكلّ إحسان

ينسب إلى غيره فهو في الحقيقة منه ، وهو المستحقّ للمحبّة وحده .

اعلم أنّ محبّة الله إذا تمكّنت من القلب ظهــرت آثارها على الجــوارح من الجــدّ في طاعته ، والنشــاط لخدمته ، والحــرص على مرضاته ، والتلذّذ بمناجاته ، والرضا بقضـائه ، والشـــوق إلى لقائه ، والأنس بـــذكره ، والاستيحاش من غيره ، .. وخـروج الـدنيا من القلب ، ومحبّة كــلّ من يحبّه الله ، وإيثــاره على كلّ من سواه ، قال الحارث المحاســبيّ : " المحبّة تسليمك إلى المحبوب بكلّيّتك ، ثمّ إيثـــارك له على نفسك وروحك ، ثمّ موافقته سرّاً وجهـراً ، ثمّ علمك بتقصـيرك في حبّه " [1] .

مســئوليّة الــدعاة المجــدّدين : فما أحــوج الدعاة إلى دين الله تعالى ، أن يدركوا أثر الحبّ وسرّه ، وأن يقـدّروا وزنه وأثـره ، ليعرفـوا سـرّ نجـــاح من نجح من الســابقين واللاحقين ، من الــدعاة المــربّين ، والأئمّة الربـــانيين ، لعلهم يقتفون آثارهم ، ويلحقون بركـابهم ، فيحسـنون

1(?) ـ التسهيل لعلوم التنزيل 1/67/ .

التعامل مع النـــاس ، والـــدخول إلى قلـــوبهم ، فيكونــون على قــدم النبــوّة ســائرين ، وبهــداها مهتـــدين : { قُل هـــذهِ سَـــبيلي ، أدعُو إلى الله علَى بَصـيرةٍ ، أنا ومَنِ اتّبعَـني ، وسـبحانَ الله ، وما أنا مِن المشركين } يوسف 108 .

دعـاوى المحبّة وبيّناتها : ولما كـثر المـدّعون للمحبّة طولبوا بإقامة البيّنة على صحة الـدعوى ، فلو يُعطى الناس بدعواهم لادّعى الخَلِيُّ حُرقة الشَّجِيِّ .

فتـأخر الخلق كلّهم ، وثبت أتبـاع الحـبيب في أفعاله وأقواله وأخلاقه ، فطُولِبُـــوا بعدالـــةِ البيّنة بتزكية : { يجاهِــدُون في سَــبيلِ الله ، ولا يخافُون لومةَ لائِم } [المائدة 54] .

فتـأخر أكـثر المحـبين وقـام المجاهـدون ، فقيل لهم : إن نفوس المحبين وأمــوالهم ليست لهم . فهلمــوا إلى بيعة : { إنّ الله اشــترى مِنَ المؤمـنين أنفسَـهم وأمـوالهم بـأنّ لهُم الجنـةَ } [التوبة111] .

فلما عرفــــوا عظمة المشـــــتري ، وفضل الثمن ، وجلالة من جرى على يديه عقد التبـايع ، عرفوا قـدر السـلعة ، وأن لها شـأناً ، فـرأوا من

أعظم الغَبْن أن يبيعوها لغـــــيره بثمن بخس ، فعقدوا معه **بيعة الرضوان** بالتراضي من غـير ثبــوت خيــار ، وقــالوا : " والله لا نقيلك ولا نستقيلك " .

فلما تم العقد وسـلموا المـبيع ، قيل لهم : مذ صارت نفوسكم وأمـوالكم لنا رددناها عليكم أوفر ما كـانت ، وأضـعافاً معـاً : { ولا تحسـبنّ الذين قتلوا في سبيلِ الله أمواتاً . بل أحياءٌ عندَ ربهم يُرزَقُــون (169) فــرحينَ بما آتهُم الله مِن فضلِه **.. (**170**)** } آل عمران .

شـجرة الحبّ وسـقياها : وإذا غُرست شـجرة المحبة في القلب ، وسُقيت بماء الإخلاص ومتابعة الحـبيب أثمرت أنواع الثمار ، وآتت أكلها كل حين بإذن ربها **.**

شرف الحبّ ومنزلته : **ويكفي الحبَّ في الإسلام منزلـةً وشـرفاً ، أن اللـه تعـالى أوجبـه على المؤمـنين كافّـة ، وهـدّد من يحيدون عن سبيله ، أو يتنكّبون طريقه ، فقال عزّ من قائل : {** قُل : إن كانَ آبـاؤُكُم وأبنــاؤُكُم وإخــوانُكم وأزواجُكم وعَشــيرتُكم ، وأموالٌ اقترفتمُوها ، وتجارَةٌ تخشَـونَ كسـادَها ، ومَساكنُ تَرضونَها ، أحبَّ إليكُم مِن الله ورسولِه

-

، وجهـادٍ في سـبيلِه ، فتربّصُـوا حتّى يـأتيَ الله بـأمرِه ، والله لا يَهـدِي القـومَ الفاسـقين (24)} التوبة .

يقول القاضي عياض رحمه اللـه تعـالى في بيان الآية الأولى :

(فكفى بهـذه الآيـة حضـاً وتنبيهـاً ، ودلالـة وحجّـة ، على إلـزام محبّتـه وفرضـها ، وعظم خطرها ، واستحقاقه لها ، إذ قـرّع اللـه تعـالى من كان مالـه وأهلـه وولـده أحبّ إليـه من اللـه ورسوله ، وأوعدهم بقولـه : { فتربّصـوا حـتى يـأتي الله بـأمره } ، ثمّ فسّـقهم بتمـام الآيـة ، وأعلمهم أنهم ممن ضـلّ ، ولم يهـده اللـه ، فلا يصدق إيمان المؤمن ، ولا يذوق حلاوتـه ، ويجـد بين جوانحه روعته ، حتى يكـون اللـه ورسـوله أحبّ إليه مما سواهما) .

وجعـل اللـه سـبحانه حبّ نبيّـه وطاعتـه سبيلَ حبّ الله تعالى وطاعته ، وبرهان الصـدق في ذلك ، وأنّ الله لا يقبل من العباد سوى ذلك ؛ فقـال سـبحانه : { قُل : إن كنتُم تحبّـونَ الله فـاتّبعُوني يحببكُمُ الله ، ويَغفِر لكُم ذنـوبَكم ، والله غفورٌ رحيمٌ } آل عمران 31 .

-

وعن أنس عن النبيّ قال : (ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلاّ للهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ) [1] .

وهذا الحديث يحمل معاني عظيمة جليلة ، هي من أعظم حقائق الإيمان ، وأصوله ولبابه ؛ ولا بد من وقفة يسيرة عندها ، لنستجلي ما تشير إليه ونستبينه ، وقد فصّل القول في ذلك الشيخ الدكتور محمّد عبد الله دراز رحمه الله فقال :

ـ " **ما سواهما** " يتناول الأموال والأولاد والوالدين والأهلين والناس أجمعين ، كما فصّلته الروايات الأخرى ؛ فعن أنس قال : سمعت رسول اللهِ يقول : (فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) [2] .

1(?) ـ رواه البخاري في كتاب الإيمان برقم /15/ ومسلم في كتاب الإيمان برقم /60/ ورواه الترمذي والنسائي .
2(?) ـ رواه البخاري في كتاب الإيمان برقم /13/ و/14/ ومسلم في كتاب الإيمان برقم /63/ وغيرهما .

" أما معنى المحبة هاهنـا ؛ فقـد زعم بعض النـــاس أنهــا لا تتصـــور بحقيقتهـــا بين الخـــالق والمخلوق ، إذ لابدّ فيهـا من مشـاكلة ومجانسـة بين المحب والمحبـــوب ، وذلـــك مســـتحيل في حقـه تعـالى ، فتـأول محبـة اللـه بمعـنى العمـل بطاعته ، وليست الطاعة هي المحبة بل هي إحدى ثمراتها .

ولو كانت المحبة كما يزعم هـذا القائـل ، لا تبنى إلا على قاعدة التجانس المادي ، والـتزاوج من الفصـيلة الواحـدة ، فلمـاذا نشـم الريـاحين وننظـــر إلى الحـــدائق المنسّـــقة ، والأنهـــار الجاريـــة .؟ بـــل لمـــاذا نحبّ اللذائـــذ العقليـــة والكمالات المعنوية .؟

إنّ هذا القائـل لم يفهم من المحبـة إلاّ أدنى أنواعهـا إلى الفهم ، وهي محبّـة الحيـوان للحيـوان ولم يـذق مـا وراءها من مراتب .

وحقيقـــة " **المحبّة** " أوســع من ذلــك ؛ فهي ميــل القلب إلى كــلّ مــا يرضــاه ويستحســنه ، وبــواعث هــذا الإحسان تختلف :

ــ فمنـه مـا يبعث عليـه الطبـع الجثمـاني ، كمحبـة الصورة الحسنة والصوت الجميل والرائحة الزكية .

ـ ومنـه مـا يبعث عليـه العقـل ، كمحبتنـا للحكمـاء والبلغاء ، ولأهل البر والإحسان ، ولأهل الصـلاح والتقـوى ، وكل ما هو كمال وخير ، إما لذاته وإما لما يؤديـه إلينـا من نفع .

ومحبة الله ورسـوله هي أرقى أنـواع هـذه المحبة العقلية وأقواها ، فمن كان باعث المحبة عنـده معرفـة مـا في المحبوب من كمال ذاتي ، فالله تعالى أحـقّ بمحبتـه ، إذ الكمال المطلـق خاصّـة ذاتـه ، والجمال الأتمّ ليس إلا لصفاته ، والرسول أحق من يتلوه في تلـك المحبـة ، لأنـه أكـرم الخلـق عنـد ربـه ، وهـو ذو الخلـق العظيم والهـدي القـويم ، ومن كـانت محبته للغير تقاس بمقاس ما يوصـله إليـه ذلـك من الغـير من المنـافع ، ومـا يغدقـه عليـه من الخيرات ، فالله تعالى أحق بهذه المحبـة أيضـاً ، فـإن نعمـه علينـا تجـري مـع الأنفـاس ودقـات القلوب ، ولا نعمة إلا هو مصدرها : { **ومـا بِكُم مِن نعمـةٍ فمِنَ الله** } النحـل 53 ، ـ { **وإن تعُدّوا نِعمةَ الله لا تحصُـوها** } إبـراهيم 34 ، وهـذا الرسـول الكـريم الـرءوف الـرحيم ، هـو واسـطة النعمـة العظمى ، إذ هـو الـذي أخرجنـا الله بـه من الظلمـات إلى النـور ، ومن الضـلالة

إلى الهدى ، واستنقذنا بـه من النـار بعـد أن كنـا على شفا حفرة منها ، فليس بعد اللـه أحـد أمنّ علينا منه ، ومحبّته في الحقيقة شعبة من محبـة الله تعالى ، قال : (أَحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِــهِ ، وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ اللــهِ ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي بِحُبِّي) [1] .

" وليس معـنى المحبـة العقليـة أن يـدرك العقل تلك الكمـالات والفضـائل في المحبـوب ، ويعتقـد عظمتـه وعلـو منزلتـه ، وإن لم تشـعر النفس بالميل إليه كما مثله البيضاوي بـالمريض يميل إلى الدواء بمقتضى عقله ، وإن كـان ينفـر منـه بطبعـه ، كلا ! فـإن من كـانت محبتـه للـه ورسوله كمحبته للدواء المـرّ جـدير بـأن يقـال عنه : إنه وجد مـرارة الإيمـان لا حلاوتـه ، وإنمـا يجد حلاوة الإيمان من كان هواه في تلك المحبة مناصراً لعقله ، ومسايراً له جنباً إلى جنب .

" غـير أننـا حين نتكلّم عن وجـوب محبـة اللـه ومحبّة رسوله ، ووجوب إيثارهمـا بالمحبـة على

1(?) ـ رواه الترمـذي في كتـاب المنـاقب عن رَسُـولُ اللـهِ برقم /3722/ ، وقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ هَذَا الوَجْهِ .

ما سواهما ، تتشوف النفس إلى معرفة نوع هذا الوجــــوب : هل هو من قبيل وجــــوب الأصــــول والأركــان الاعتقادية ؟ أم هو من وجــوب الفــروع العملية .؟

والجــواب يختلــف تبعــاً لاختلاف المعــنى المقصود من المحبة ، إذ يراد منها تارة خصوص المحبة القلبية ، وتـارة هي مـع آثارهـا العمليـة ، فالمحبـة بـالمعنى الأول واجبـة وجـوب الأصـول قطعــاً ، فمن كــان حبّــه لنفســه أو لشــيء من الأشياء كحبـه للـه ورسـوله أو أشـدّ ، فليس في قلبه من الإيمان مثقال حبة من خردل ، لأن الله تعـالى جعـل هـذه المحبـة الراجحـة من لـوازم الإيمان ، وجعل ما دونها من أوصاف المشـركين فقــال تعـالى : { **ومِن الناسِ مَن يتّخِـذُ مِن دُونِ اللــه أنــداداً ، يحبُّونهم كحُبِّ اللــه ، والذينَ آمَنُوا أشدُّ حباً للهِ** } البقرة 164 .

ـ **فإن قال قائل** : إن هــذا الحكم يخــرج كثيراً من المسلمين عن الإيمان .

ــ **قلنا** : بـل لا يخــرج عنــه إلا من كــان كافراً عريقاً في الكفـران ، وبرهاننـا الاختبـار ، فلنعمد إلى رجل من عامـة المسـلمين ، ولنقـل

له : " قدّر في نفسك أنك رأيت رسـول اللـه ﷺ ، وقد قصده أحد أعدائه بسوء ، وكنت بالخيار بين أن تسـلمه ، فينـال منـه عـدوه ، وبين أن تـدافع عنه ، فتهلك دونه فأي الأمرين تختار .؟ " ، لنقل له ذلك ، ولندعه يحكم بوجدانه وعاطفته ، فهـل لو كان أضعف الناس إيماناً ، وأكـثرهم عصـياناً ، يتردد لحظة في أن يقـول : بـل أفتديـه بنفسـي وأهلي ومـا ملكت يميـني ، فـذاك الشـعور هـو مقياس تلك المحبـة الراجحـة ، الـتي تخـامر قلب كل مؤمن ، إلا أن الإنسـان كثـير النسـيان ، فتبقى عنــده هــذه المحبــة كامنــة مغمــورة ، مــادام سلطان الهوى والطبع متحكمـاً ، ولكنـه إذا ذُكّـر تذكّر ، فمن لم يجد في نفسـه هـذا الشـعور إذا ذكر به فهو كاذب في دعوى الإيمان .

نعم ، المحبـة الكاملـة الرجحـان ، لا يقـف الأمر فيها عند تمني حياة الرسول ﷺ ، والاشتياق إلى رؤيته ، بل تتصل فيهـا محبـة ذاتـه ، وتمـني حياته بمحبة سنته ، وتمني علوّ كلمته ، وانتصــار شريعته ، إذ كل شـيء من المحبـوب محبـوب ، بـل لا يكمـل رجحـان المحبـة ، مـالم تثمـر تلـك

الوجدانات القلبية ثمراتها الخارجية ، وتستتبع آثارها العملية .

ومما يعين على ذلك معرفة حكمة الشريعة ، وأنها إنما وضعت لمصالح العباد في العاجل والآجل ، فليس فيها أمر إلا لمصلحة المكلف ، ولا نهي إلا لدفع ضرر عنه ، فإذا رسخت هذه المعرفة ، وطالعتها النفس آناً بعد آن ، اتصل حبّ الشريعة بحبّ صاحبها ، وإذا انضمت إلى تلك التجربة العملية باعتياد الطاعات ، ترعرعت نواة المحبة ونمت وآتت ثمراتها حتى لا تكون قرّة عينه وراحة قلبه إلا في عمل بطاعة الله ورسوله .

وهاهنا مراتب متفاوتة بين فريضة ونافلة ، فكلما كان المرء أكثر إيثاراً لطاعة الله وطاعة رسوله على استيفاء الحظوظ الدنيوية كان أقوى لهما محبّة ، وأصحّ إيماناً ، وكلما تهاون في شيء منها دلّ على ضعف إيمانه بهما ، وقلة محبته لهما بقدر ذلك التهاون .

فالاتباع هو علامة المحبة ودليلها : { **قل : إن كنتُم تحبُّونَ الله فاتّبِعُونِي** } ، وبهذا تبين أن تعليق الإيمان على المحبة

الراجحة في قوله ﷺ : (لا يُؤْمِنُ أَحَـدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْـهِ .. الخ) ، تعليــق صـحيح في حقيقــة الإيمــان ومجــازه ، لأن أصــل الإيمــان موقــوف على أصــل ذلــك الرجحــان ، وكمالــه موقوف على كماله ، والله المستعان .

الحبّ هو المــرتقى الصـعب والمنهل العــذب والمــورد الــرحب : صـعب لأنــه يكشــف أســرار القلــوب ، وفيــه الحســرة والوجيــف ، وحرقــة الوجــد ، ولوعــة الفقــد ، وافتضــاح الأحــزان ، واضطرام الأشجان ، وصعب كذلك ، لأن لــواعج الحبّ لا تحــدّها العبــارات ، ولا تــترجم عنهــا الكلمات ، ولا يمكن أن تخضع لرسوم الحروف ، وآفـاق المعـاني ، مهمـا اسـتعانت بالاسـتعارات والكنايات والتشبيهات .

وإذا شكّك متشـكّك فيمـا نقـول من العجـز عن التعريــف والتحديــد فنقــول : " عــرّف لنــا النــور .؟ أو عــرّف لنــا اللــذّة الــتي تجــدها في الجمال والكمال ، وبديع صنع الكبير المتعـال ..؟ " ، فإن عيي عن ذلك ، فهـو لا شـكّ عن وصـف لواعج الحبّ أعيا وأعجز ..

ولعلّ أجمع مايدفع عن المحبّ ما اسـتعجم عليـه من هاتيـك الحقـائق والمعـاني ، أن يقـول لسـائليه عمّـا يجـد ويعـاني : " **فيه مـالا عين رأت ، ولا أذن سـمعت ، ولا خطــر على قلب بشر** " ، وأن يقــول لناقديــه : " من ذاق عرف ، ومن حُرِمَ انحرف " .

فإن لم تذق معنى   شراب الهوى دعنا .

وهو منهل عذب ، لا أعـذب منـه على نفس المحبّ ، ولا أشهى ؛ وهل أمتـع لنفس المحبّ من ذكر من يحبّ ، وتكـرار حديثه ، والـترنّم بـذكراه ، والتغنّي بمآثره ..!

وإنمـا هي إشـارات تبثّ الشـذى ، ونفثـات تحمل الجوى ، وزفرات وحسرات ، تــذهل اللبّ وتفضـح الهـوى ، وتـترجم عن بعض المشـاعر ، وتخفّف لوعة المحبّ الشاكر ..

* دافع تحصيل الحبّ ، وأعظم به من دافع .! واعلم أخي المؤمن ، أن من أعظم ما يدفعك إلى تحصيل محبّة الله تعـالى ومحبّة رسـوله : أن تعلم أن محبّتك لله ورســوله ، هي أثر عن ســبق محبّة الله لك ، فــإذا تحقّقت من نفسك أنك تحبّ الله ورســـــوله ، فاستبشر أن الله

تعـالى يحبّك ، لأن الله تعـالى يقـول : { **ياأيُّها الــذينَ آمنُــوا ، مَن يرتــدّ منكُم عَن دينِه فَسوفَ يأتِي الله بقومٍ ، يحبّهُم ويحبُّونَه ..** (54) } المائدة .

فــذكر ســبحانه أنّ أول صــفة لهم : أنهم يحبّهم الله تعالى .

وكـذلك سـبقت محبّة رسـول الله للنـاس جميعـاً ، حبّ أيٍّ منهم له صـلوات الله وسـلامه عليه ، لأن الله تعـالى أرسـله رحمة للعـالمين ، ومقتضى ذلك أن يحبّ النــاس ، ويحــرص على خـيرهم وهـدايتهم ، وهـذا ما كـان عليه صـلوات الله وســلامه عليه ، فقد كــانت دعوته لقومه ، وهو يناله أشدّ الأذى منهم : (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ) [1] .

وإنما مثل ذلك كمثل محبّة الوالد والوالــدة للولد ، فكما أن محبّة الوالد والوالـدة لولـدهما ، تسبق محبّة ولدهما لهما ، ومحبّة الولد لهما هي

1(?) ـ رواه البخاريّ في كتاب أحاديث الأنبياء بـرقم /3218/ و ومسلم في كتاب الجهاد والسـير بـرقم /3347/ـ عن عَبْدِ اللَّـهِ قَـالَ : كَـأَنِّي أَنْظُـرُ إِلَى النَّبِيِّ يَحْكِي نَبِيًّا مِنْ الأَنْبِيَاءِ ضَـرَبَهُ قَوْمُـهُ فَـأَدْمَوْهُ ، وَهُـوَ يَمْسَـحُ الـدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَيَقُولُ : .

أثر عنها ، فكذلك محبّة رسول الله ﷺ للإنسانيّة عامّة ، وللمؤمنين خاصّة ، تسبق محبّتهم له ، وتتقدّم عليها .

ومن لم يستشعر ذلك من نفسه ، ويحرص على تنمية محبّة الله ورسوله ﷺ في قلبه ، فليبك على نفسه ، ولتتقطّع أنفاسه حسرات على ما فقد من حلاوة الإيمان وأنس اليقين وثمراته ، وليعلم أنه من القاسية قلوبهم ، الغافلين المعرضين ، الغارقين في بحار الأهواء والشهوات ، مهما حافظ على رسوم ظاهرة ، وحرص على إقامة الاحتفالات ، وحضور المهرجانات ، وأنه ممن يقابل الإحسان بالإساءة والنسيان ، مهما تحرّك لسانه بأذكار وأوراد ، لأنها لا تؤدّى بما تحمل من معان وحقائق ، والمعوّل عند علاّم الغيوب على ما في القلوب ، من حقائق الإيمان اليقين ، وصدق الطاعة والاستجابة ..

* إشارات ونفثات : وإذا كان لا بدّ لنا من الوصف والإشارة ، وتقريب الحبّ والتشويق إليه برشيق العبارة ، فنقول وبالله تعالى وحده التوفيق :

والحبّ الذي نريـده ونتحـدّث عنـه ، لا غلـوّ فيه ولا تقصير ، ولا تبجّح ولا دعاوى ، إنّـه صـبغة ربّانيّـة ، ونفحـة إلهيّـة ، تصـطبغ بهـا العبوديّـة الخالصة لله تعالى ، فتمحـو الحـواجز بين أنـواع التكليف ، وتبقى محصورة في نوعين ، لا يعرف العبـد لهمـا ثالثـاً : ما يحبّ الله ويرضى ، وما لا يحبّ الله ويرضى .. { صـبغةَ الله ، ومَن أحسـنُ مِن الله صـبغةً ، ونحنُ لـهُ عابِـدُون } [البقـرة 138] .

وإنّ لون الحبّ أجمع لـون لألـوان العبوديّـة الصادقة ؛ إنه كلون الطيف ، الذي يجمع الألوان كلها في لون واحد ، هو لـون البيـاض وشـفافيّته وإشراقه ، إنه يجمع الخوف والرجـاء ، والصـدق والعلم ، والصبر والشكر ، والتسـليم والتعظيم ، والتوكّـل واليقين ، والأنس والرضـا ، والإحسـان والمراقبة ، إنّه حصن المـؤمن من فتنـة الـدنيا ، ومن فتن الأهـواء والشـهوات ، الـتي تعصـف بالعقول والقلوب ، فيصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كـافراً ، يـبيع دينـه بعرض من الدنيا ، والمعصوم من عصمه الله ..

ولغة الحبّ تخاطب المحبّ في كلّ موقــف .. وأمام كل عمل .. وعند كـل حركـة أوسـكون : " إذا كنت محبّــاً .. فهــذا إلى ربّك أحبّ .. " إنّــه امتحان يفـوز بعـده المـؤمن بهـذه الشـهادة : { **والذين آمنوا أشدّ حبّاً لله** } [البقرة 165] ، وإنّها لشهادة أكرم بها من شهادة ، لا أرفع منهـا ولا أجلّ ، ولا أفضل منها ولا أكمل .

والحبّ غـيرة وفـداء .. وتضـحية وعطـاء .. ومروءة وإيثار .. وإعراض عن الأغيار .. ولســان حـال المحبّ يقـول دائمـاً ، وفي كـل حـال : " نفسي دون نفسك .. وروحي دون روحك .. أفـديك بنفسي ومالي .. وفداك أبي وأمّي .. " .

والحبّ نور .. يسمو بصـاحبه إلى آفـاق ، لا يعرفها أصـحاب الرسـوم ، ولا يطمحـون إليهـا ، ويرزق صاحبه الشفافية والصفاء ، التي هي أعزّ لديه من الغذاء والهواء ..

والحبّ نــار .. تحــرق حجب الشــهوات .. وتمـزّق غشـاوة الأهـواء والشـبهات .. وتـذيب كـدورات الطبـع .. وترهـف مـدارك السـمع .. وترقّق كثافة الحسّ .. وتهذّب رواســب الطين ،

الـتي تشـدّ الإنسـان إلى غلـظ الطبـع وثقلـة الأرض .

ينفع المحبّ ويرفعه ؛ أليس " المـرءُ مع من أحبّ " ، بشـهادة الحـبيب المصـطفى ، ويـدفع المقت والغضب ؛ كما قـال لعمر : (لا تـدري يا عمر .! إِنَّهُ شَـهِدَ بَـدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ اطَّلَعَ عَلَى أَهْـلِ بَدْرٍ فَقَـالَ اعْمَلُـوا مَا شِـئْتُمْ فَقَـدْ غَفَـرْتُ لَكُمْ) [1] ، وقد أحسن إذ صـاغ هـذا المعـنى الشاعر بقوله :

إذا ذكرت ذنوبي دار في خلدي ذنب المحبّ مع الأحباب مغفورُ

وقال آخر :

وإذا المحبّ أتى بذنبٍ واحدٍ جاءت محاسنه بألفِ شفيعِ

والحبّ : الحبّ ينفع ويرفع ، ويدفع ويشفع يشفع ويقدّم الوثيقة التي تحكم بحسن العاقبة ، ألم يقل كعب بن مالك في محنته لابن عمّه أبي قتادة : " يَا أَبَا قَتَادَةَ أَنْشُدُكَ بِاللهِ هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ..) [2] ، ويريد بذلك أن

1(?) ـ رواه البخاري في كتاب التفسير برقم /4511/ .

2(?) ـ رواه البخاري في كتاب المغازي برقم /4066/ .

يقول : " فلماذا لم يشفع لي حبي حتى الآن ..!
" ، ولكنّ الحبّ لا يمنع أن يحاسب المحبّ على
دعواه ، وأن يمحّص في الحبّ ، ليظهر راسخ
القدم من سواه ، بل إنه ليقتضي ذلك ويوجبه ،
والعاقبة للصادقين الراسخين ..

والحبّ نشـيد عـذب ، تـترنّم بـه ألسـنة المحبّين ، وعـالم رحب تتقلّب فيـه أرواحهم ، ليس بأمـانيّ يـدّعيها أسـير هـواه .. ولا دعـاوى تتشدّق بها بعض الشفاه ..

إنـه شـوق وعـذاب ، وحـنين واغـتراب ، وإشـفاق من المقت والحجـاب ، وشـدو بأعـذب الألحان ، فيما يرضي الرحمن .

إنه مسـارعة فيما يحبّ المحبـوب .. وإيثـار لما يحبّ .. وتلـذّذ بالمشـقّة فيما يحبّ .. وبـذل للمهجة في سبيله ومرضاته ..

التربية على الحبّ **والتربيـة على الحبّ وبـالحبّ أجـدى وسـائل التربيـة نفعـاً ، وأقواهـا تـأثيراً** ، ويؤكّـد ذلـك مـا جـاء في الحـديث الشـريف : (**أدّبُـوا أولادَكم على ثلاثِ خصالٍ : حبّ نبيّكم ، وحبّ آلِ بيته ، وتلاوةِ القرآن** ..) [1] .

1(?) ـ رواه أبو النصر عبد الكـريم بن محمّد الشـيرازيّ في

ـ

وفي ذكـر أهـل الـبيت في هـذا الحـديث بشرى كريمة ، ولطيفة مهمّة تـدلّ على أنّ اللـه تعالى جعل فيهم قدوات طيّبة للمؤمنين في كـلّ عصـر وجيـل ، فنسـل النـبيّ الطـاهر الـزكيّ لا ينقطع منـه الخـير إلى يـوم القيامـة ، ولا يغرّنّـك من شذّ أو انحـرف ، أو ادّعى الانتسـاب للدوحـة الكريمـة زوراً وبهتانـاً : لأسـباب سياسـيّة ، أو لتحقيق منافع دنيويّة عاجلة ، فأمّا الزبـد فيـذهب جفاءً ، وأمّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ..

فإنّ آل محمّـد كـلّ تقيّ ، ألم يقـل النـبيّ : (**سلمانُ منّا أهل الـبيت**) [1] .؟ فقـرّبت تقواه نسبه غاية القرب ، وجعلته من أهل البيت ، وقال للسيّدة فاطمـة رضـي اللـه عنهـا ، وهي من هي في قربهـا من النـبيّ وإيثارهـا عنـده ومنزلتها ، ومحبّة النـبيّ الخاصّـة لهـا ، ورفعـة

فوائده ، وابن النجّـار في تاريخه عن عليّ مرفوعـاً ، وقـال المناوي في شرحه على الجـامع الصـغير : ضـعيف ، كما في كشف الخفاء 1/76/ .

1(?) ـ رواه الطبرانيّ والحاكم عن عمرو بن عوف ، وسنده ضعيف ، كما في كشف الخفاء 1/558/ .

مكانتها : (.. يَا فَاطِمَـةُ بنت محمّد أَنْقِـذِي نَفْسَـكِ مِنْ النَّارِ فَإِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللهِ شَيْئاً ..) [2] .

* ومن أجمع ما قيل في الحبّ : مـــا ذكـــره الإمام ابن القيّم رحمه الله عن أبي بكر الكتـاني ، قال : جـرت مسـألة في المحبـة بمكـة أعزهـا الله تعالى ـ أيام الموسم ـ فتكلم الشيوخ فيها ، وكان الجنيد رحمه الله أصغرهم سـناً ؛ فقـالوا : هـات مـا عنـدك يـا عـراقيّ .؟ فـأطرق رأسـه ودمعت عيناه ، ثم قال :

" عبد ذاهب عن نفسه ، متصل بـــــذكر ربه ، قــائم بــأداء حقوقه ، نــاظر إليه بقلبه ، فــإن تكلم فبالله . وإن نطق فعن الله . وإن تحرك فبأمر الله . وإن ســكن فمع الله . فهو بالله ولله ومع الله " . فبكى الشـيوخ ، وقـالوا : مـا على هـذا مزيـد ، جزاك الله خيراً يا تاج العارفين .

* شــوق المحبّ ودموعه : والمحبّ يتقلّب في كـــلّ أحواله بين خـــوف وقلـــق ، وخشـــية وإشــفاق ، وشــوق ورجــاء .. خــوف أن يؤخــذ بذنبه ، ويفضح بتقصيره ، وخشية غالبة ألا يقبــل

2(?) ـ رواه مسلم في كتاب الإيمان بـرقم /303/ والترمـذي برقم/3109/ والنسائي برقم /3584/ .

منه عمل ، وألا يفلح لـه سـعي وأمـل .. وشـوق ورجاء ، عندما يقف في ساحة الجود والرحمـة ، والفضل والعطاء .. قد قيـدت حركاتـه وسـكناته قيود الأدب ، ورسمت علاقاته حدود الاتّبـاع ، فلا تراه إلا بين رياض الجنّتين ، وحياض الموردين ..

ولله دمعة منه .! فاضت من قلبه قبل أن تفيض من عينيه ، فغسلت أوضار ما علق به من الهوى ، وأشرقت بها أنوار القرب والرضا ، ثمّ فاضت من عينيه لتغسل عنهما غبار الأكدار ، وزحمة الأغيار ، فتتأهّل لنضرة النعيم ، والنظر إلى وجه الله الكريم .

* ما أبعد الناس عن هـذا المنهل الكـريم !؟

وإننـا على وفـرة مـا كتب في سـيرة النـبيّ وشـمائله ، وخصائصـه وفضـائله ، عن حقـوق المصـطفى على أمّتـه وعلى العـالمين ، لا نـزال نشكو من الجفاف الروحيّ ، والبرود العاطفيّ ، نحو هذا الحـبيب الأعظم ، ذلـك لأن كثـيراً منـا يفتقـدون الجسـر الـذي يربـط بينهم وبين المصـطفى فهم يعرفونـه ، ولم يـألفوه ، ويسمعون سيرته وشمائله بآذانهم ، ولم يعقـدوا الصلة بينهم وبينـه بقلـوبهم ، ويحبّونـه بمقتضـى الإيمـان وعاطفتـه ، ولكنهم لا يؤثرونـه على

أنفسـهم وأمـوالهم ، وأهليهم وأولادهم ، ولنقـل بتحديـد أكـثر ، ومعـذرة إذا كـان الكلام شـديداً ، فـالحقّ مـرٌّ ، والواقـع الـذي نـراه أمـرّ ، إنهم لا يؤثرونه على ذواتهم التي أتخمت بالتضخّم وحبّ الذات ، وامتلأت بـالعجب والغـرور ، حـتى لم يعـد فيهـا متّسـع لشـيء من النـور ، وغـرقت في لجج من ظلمات الهوى والأثرة ، بعضها فـوق بعض ، وتهالكت على حبّ الدنيا وإيثارها ، واللهاث وراء حطامها ، فـأنى لهـا أن تخـرج عن هـذه الـدائرة الرعنـاء العفنـة ، إلى رحب النـور الغـامر ، والسناء الباهر ، الذي سمّاه خالقـه سـبحانه : " **سراجاً منيراً ، ونوراً مبيناً ..** " .

ولقد تحدّث كثـير من علمـاء الأمّـة ، سـلفاً وخلفاً ، عن علامات المحبّة ومظاهرها وآثارهـا ، ليحاسب المـؤمن نفسـه على دعاويهـا ، ويقـدّم البرهان على شرف الانتساب إلى رحـاب الحبّ ، وقـدس القـرب ، وكيلا يلبّس إبليس على ذوي النفـوس المريضة ، بـدعاوى عريضة ، وهمم مهيضة ، فيحسب الإنسـان نفسه من الأوليـاء المقـرّبين ، وهو يغـوص في لجج العصـيان والطين .

ولكن القليل القليل ، هم الذين تحـدّثوا عن السبيل الـتي تكـرم المـؤمن بشـرف الوصـول ، إلى رحـــاب الحبّ الموصـــول ، بمرضـــاة الله والقبول .

وإذا كان أكثر ما ذكر من علامات المحبّة ومظاهرها ، يعدّ سبيلاً للحبّ ، وسقيا لغرسه المبارك ، وشجرته الطيّبة ، ولكنّ هذه العلامات والمظاهر لا بدّ وراءها من حقائق ، لأنها بحدّ ذاتها ، لا تنشئ الحبّ ولا تبنيه ، ولا تحرّكه ولا تحييه ، إذ تؤدّى في أكثر الأحيان ، بصورة شكليّة ظاهرة ، وتتحوّل إلى عادة من العادات ، فتفقد روحها ، وتخرج عن الخشوع المطلوب ، والاتّصال بالحقائق الإيمانيّة ، الداعية إليها ، الباعثة على فعلها .

* خطر الرسـوم والمظـاهر في الجناية على أصول الدين وحقائق الإيمان : وإن من أخطر مـا تبتلى به الأمـة في دينهـا ، أن يتحـول الـدين في مفهومهـــا وســـلوكها إلى رســـوم وشـــكليات ، ومظـاهر واحتفـالات ، لم يشـرعها الـدين ، ولم يأمر بها ، يلتزم بها الناس ، ويظنون أنهم يؤدَّون بذلك حقّ الله تعالى ، ويحسـبون أنهم يحسـنون صــــــنعاً ، وأن عملهم هو أقصى مايطلبه منهم

الدين ، وأقصى ما يعبّر به الإنســان عن تعظيمه وتوقيره ، وحبّه وتقواه ..

وكثـيراً مـا يكـون الـتزام الرسـميين بهـذه المظاهر والاحتفالات تغطية على مـا يمارسـونه من مواقف خارجة عن الـدين وهديـه ، يتقرّبـون بذلك إلى العامّة ، ويخدعون البسـطاء من بعض الخاصّة ، فما وزن هذه المظاهر والشكليّات في سلّم التكاليف الشرعيّة ، وحقائق الدين ومبادئه ، التي لا يرضى الله تعـالى ، بحـال من الأحـوال التفريط بهـا أوالتهـاون .؟! وإن التفريـط بهـا أو التهــاون ، مــع الحــرص على تلــك المظــاهر والاحتفـالات ، أشـبه باتّخـاذ آيـات اللـه هـزواً ، واتّخاذ هذا الدين لهواً ولعباً ، فأيّ تكريم لرسول اللـه ، واحتفـال بـدين اللـه ممن يصـدّون عن سبيله ، ويحاربون أولياءه والدعاة إلى دينه .؟!

وإذا أردت برهانــــاً أوثـــــق ، ودليلاً أدقّ وأعمق : فاعلم أن للإنسان طاقة وقدرة ، وبين يديه وقت وفراغ ، وقـد أمـدّه اللـه بفسـحة من العمـر ، فـإذا اسـتنفد جهـده وطاقتـه ، ووقتـه وفراغه ، فيما لم يطلب منه ، فأنى له أن يـؤدي

ما طلب منه ؟ وأنى له أن يحقّق ما يريد الشرع تحقيقه ، وهو لم يسلك الطريق المؤدية إليه ..

ومن جـانب آخـر ، نـرى حقـائق الإسـلام ومبادئه ، وأوامره ونواهيـه ، وكثـيراً من تكاليفـه مهدورة مضيّعة .. وكأن هناك مخطّطاً مدروساً ، يسـتهدف الإسـلام الـذي أنزلـه اللـه لسـعادة البشرية كافّة ، وجعله ديناً ومنهج حياة ، يراد لـه أن يفـرّغ من حقائقـه وأصـوله ، ومبادئـه وتكاليفـه ، ليشـتغل النـاس بمظـاهر شـكليّة ، يهتمـون بهـا ويعتنـون ، ويحرصـون عليهـا ولا يفرّطـون ، ويتعلّقـون بهـا ، وهي لا تغيّـر من الواقع شيئاً ، ولا وزن لها في إسـعاد الفـرد ، ولا إصلاح المجتمع ..

وإن طبيعـة الإنسـان وفطرتـه ، والواقـع الاجتماعيّ وسننه ، لتثبت أن الإنسان كلما تعلّق بالشكليّات والمظاهر واهتمّ بها ، وحرص عليها ، غفـل عن الحقـائق والواجبـات المكلّـف بهـا ، وانتقص منهـا ، وهي منـاط سـعادته وفلاحـه ، وسرّ فاعليّته في الحياة ، ورقيّه وتقدّمه .

ثمّ إن التعلّق بالمظاهر والشكليات ، وانتقاص الحقائق الجوهرية ، سمة من سمات

الرياء الاجتماعي ، والتصنّع للناس ، والبعد عن التعلّق بالله تعالى ، والحرص على مرضاته واتّباع هداه ، ولا تبتلى الأمم بذلك إلا في مراحل انحطاطها وتخلّفها ، أو ليكون ذلك نذير انحطاطها وتخلّفها ..

* التكريم الصـادق والحبّ المقبـول : " ومن هنا كان التكريم الحقّ للمصطفى ، لا يتحقّق بهذه المظـــاهر كلها ، وإنما التكـــريم الحق ، والإجلال الصـادق ، أن نستمسك بـالقرآن الكـريم الـذي أنــــزل عليه ، ونســــتلهمه الخــــير والحكمة ، ونســتنطقه الحجة والبرهــان ، ونســتنير بهديه وإرشــاده ، ونــذعن إليه قاضــياً ومعلمــاً ، وأن نُحَكّمه في أنفســنا وأُســرنا ، ومقوّماتنا الخاصة والعامة : نأتمر بأمره ، وننتهي بنهيه ، ولا نقصّــر عنه ولا نجــــاوزه ، نتدارسه صـــباح مســـاء ، ونستكشف منه ما أودع من حِكَم وعلم ، وما حواه من عظة وعبرة .

التكــريم الحق أن نتبع ســنّة هــذا النّــبي الكـريم ، ونـدرس سـيرته دراسة وعي وفهم ، فنستلهم منها الهـدى والرشـاد ، والعلم والفضل ، والتضحية والثبات ، ونطالع سيرة أصحابه الغرّ الميــــامين ، وأخبـــارهم الممتعة ، فنتعلّم كيف

-

يكــون الانقيــاد والاتّبــاع ، وكيف يُتحمّل الأذى ، ويســتعذب العــذاب ، في تأييد الشــرع الحكيم ، والمبدأ الحق ، وكيف تبذل الأموال والأرواح في سبيل الله ، وإعلاء دينه ونصرة رسوله .

وفي سنته وسيرة أصحابه ، بيان ما نحتاج إليه في عباداتنا ومعاملاتنا ، وجميع نواحي حياتنا ...

وفيها بيــان ما ينبغي أن يُــرَبَّى عليه الفــرد والأسرة ، وما ينبغي أن تكون عليه الأمّة حكومة وشعباً ...

وفيها ما يبدّد كل غموض ، ويحلّ كل مشكلة ، تعترضنا في هذه الحياة ، وما ينير لنا الحق ويهدي سواء السبيل .

التكريم الصــادق أن نتمسك بمبــادئ دينه المشـــرقة ، وأنظمته الخالـــدة ، الـــتي تنشئ الفــرد قويــاً متميّــزاً بــالخلق الســامي ، والعقل الراجح ، والجهاد الدائم ، والعقيدة الراســخة ، لا يــذوب في غــيره ، ولا تلــوي به عواصف الأهــواء والمغريـــات ، ولا يتلـــوّن متـــأثّراً بالمطـــامع والحزبيــات ، ولا تزحزحه عن إســلامه نُعَــرة ولا عصبية ، ينصر الحــقّ ، لا تأخــذه فيه لومة لائم ،

ويتفانى في تأييده ونصرته ، ويمـوت في سـبيل الدعوة إليه ، وإحيائه وإعزازه .

التكـــريم الحق أن يفخر المســـلم بتاريخه المجيد ، وسـلفه الصـالح ، ويرفع رأسه معـتزاً بدين رفع الإنسـانية من حضـيض الجهل إلى أوج العلم ، وهداها سـبيل السـعادة الحقّة في الـدنيا والآخرة " .

ولحظة صدق يامن تـدّعي الحبّ الصـادق ، وأنت غـارق في بحـار الهـوى ، تقـول لك بكل صراحة ووضـوح : إن هـذه المظـاهر ليست هي المحبّة الإيمانيّة الصادقة ، والبرهان الذي يريـده المحبوب على ما تدّعي ، إنها اندفاعات عاطفيّة ، لا خطـــام لها ولا زمـــام ، ولا ضـــابط لها من شريعة أو التزام ، ومنها وهو أشنعها وأسوأها ما يكون مظهر ريـاء اجتمـاعيّ ، وتزلّف إلى العامّة ، واسترضاء للمشاعر في مناسبة موقّتة .

فـابحث لك إن كنت من أهل الصـدق على البراهين الصـادقة ، عند أولئك الـذين شـهد لهم الحـقّ سـبحانه : { **يحبّهم ويحبّونه** } ، الـذين { **صدَقُوا مَا عاهَدُوا الله عليـهِ ، فمنهُم**

مَن قضَــى نحبَه ، ومنهُم مَن يَنتظِــرُ ، ومَا بدّلُوا تَبديلاً } الأحزاب 23 .

فلا تغالط نفسك ، ولا تظنّنّ الحبّ رســوماً ومظـاهر ، فما أبعـدك إذن عن شـمّ شـيء من عرفه ، أو ذوق شيء من طعمه ..!

ويقف أمامنا سؤال ملحّ يجب على كلّ مؤمن أن يعرف إجابته ، ليكون على بيّنة من أمره :

* كيف الســبيل إلى الحبّ الصـــادق ؟ وما الأسباب التي تصل المـؤمن إليه .؟ إن السـبيل إلى ذلك يتلخّص في كلمة واحدة عظيمة كبـــيرة ، وهي قريبة ميســـــورة : إنها المعرفة ، وقد جاء في صـفة النـبيّ : " من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبّه .. " ([1]) .

وقد نعى الله تعالى على المشركين كفرهم برسوله ، ومعاندتهم إياه ، واحتجّ عليهم بحجّة بليغة دامغة ، ألا وهي معرفتهم به صلوات الله وسلامه عليه ، فهم يعرفون نشأته الطيّبة الطاهرة ،

1(?) ـ رواه الترمذي في المناقب عن علي رضي الله عنه / 3571/ .

وسيرته العطرة ، ويشهدون بصفاته الكريمة ، وأخلاقه الزكيّة ، فقال الله تعالى : { أم لم يعرِفُوا رسُولهم ، فهُم لهُ مُنكِرُون **.؟!** } المؤمنون 69 .

* المحبّة الفطريّة وأسبابها : فطرة الحبّ نعمة إلهيّة مغبون فيها كثير من الناس ، وأسبابها التي تجعل الإنسان ، يميل بطبعه إلى الآخر ، وينجذب إليه ، لا تعدو ثلاثة أسباب : الجمال ، والكمال ، والإحسان ، وهذه الأسباب كلّها تتمحور حول المعرفة ، كما تعدّ المعرفة أصلاً كبيراً لها ، وكل سبب من هذه الأسباب ، يتنوّع إلى حسّي ظاهر ، ومعنويّ باطن ، ومنها ما ينال بكسب الإنسان وسعيه ، ومنها ما لا ينال بذلك ، وإنما هي مواهب ربّانيّة خاصّة ، ومنح وخصوصيّات ، يختصّ بها الله من يشاء من عباده : { **يختَصّ برحمتِهِ مَن يَشاءُ ، والله ذُو الفضلِ العَظيمِ** (74) } آل عمران .

وهـذه الأسـباب واسـعة المعـاني ، شـاملة جامعـة ، لا مجـال لبسـطها هنـا وتفصـيلها ، وقـد أملى علينا الشيخ أحمد رحمه الله تعالى ، وأجــزل مثوبته ، خلاصة مفيدة عن هذه الأسباب للمحبّـة ، ومما جاء فيها :

" أسباب المحبة ثلاثة ؛ الكمال والجمال والإحسان ، وهي على وجه الكمال المطلق لله سبحانه وتعالى ، لأنه سبحانه خالق كل شيء ومليكه ، المنعم بالنعم كلها ما ظهر منها وما بطن ، المتصف بكل كمال ، والمتنزه عن كل نقصان ، ثم هذه الأسباب لم تجتمع لأحد من البشر على وجه الكمال الإنساني ، إلا لرسول الله ﷺ ، فمن هنا كانت محبته بعد محبة الله تعالى ، وهي تبع لمحبته سبحانه ، ثم لا ينبغي أن تكون المحبة لأحد من الخلق إلا على قدر اتصافه بالكمال الإسلامي في العقيدة والعبادة والعمل ، والجمال في الأخلاق والسلوك والصفات ، والإحسان إلى الخلق والبِّر بهم ، والشفقة عليهم .

" وما سوى ذلك ، فأسباب مادية ، أو أهواء شيطانية ، ومحبة شهوانية هابطة ، تقود أصحابها إلى فساد الضمير

والسلوك ، وتكون عليهم وبالاً يوم القيامة .. " .

وهكذا فإن الحبّ في الله ولله ، الذي نريده ، وندعو إليه ، ليس عواطف جامحة رعناء ، ولا اندفاعات من الأهواء ، وإنما هو روح علويّة شفّافة ، ترفع نفس المؤمن وهمّته حتى تجعله في المقام الأسمى ، وترفرف روحه مع الملأ الأعلى .

يقول الإمام ابن الجوزيّ رحمه الله تعالى : " إن المعاني المستحسنة تحبّ أكثر من الصور ، ولهذا نحبّ أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً لمعانيهم لا لصورهم " .

والمحسن يحبّ ، ولو لم ننل شيئاً من إحسانه ، لأن الإحسان يحبّ لذاته ، فذلك من سلامة الفطرة في الإنسان وسويّتها .

وكل هذه الأسباب وأنواعها قد اجتمعت لرسول الله بتمامها وكمالها ، وأحسن استيفائها ، فلا عجب أن وصفه الله بالخلق العظيم ، وبالمؤمنين رءوف رحيم ، وأرسله رحمة للعالمين ، وجعله أسوة حسنة ، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيراً .

ولا يتحقّـق المـؤمن بـذلك ، ولا يتذوّقـه إلاّ بدراسة السيرة النبويّة ، دراسة المـؤمن المحبّ ، لا دراســة البــاحث المــؤرّخ ، أو المطــالع المستمتع .

قــال في المــواهب : " .. وإذا كــان الإنســان يحبّ من منحه في دنيــاه ، مــرة أو مرتين ، معروفاً فانياً منقطعاً ، أو اسـتنقذه من مهلكة أو مضــرّة لا تــدوم ، فما بالك بمن منحه منحاً لا تبيد ولا تزول ، ووقاه من العــذاب الأليم مالا يفنى ولا يحول .؟!

وإذا كان المرء يحبّ غـيره على مافيـه من صورة جميلة ، وسيرة حميدة ، فكيف بهذا النبيّ الكـريم ، والرسـول العظيم ، الجـامع لمحاسـن الأخلاق والتكــريم ، المــانح لنــا جوامــع المكــارم والفضل العميم ، فقـد منحنـا اللـه بـه منح الـدنيا والآخـرة ، وأسـبغ علينـا نعمـه باطنـة وظـاهرة ، فاسـتحقّ أن يكـون حظّـه من محبّتنـا لـه أوفى وأزكى من محبّتنــا لأنفســنا وأولادنــا وأهلينــا وأموالنــا ، والنــاس أجمعين ، بــل لــو كــان في منبت كل شعرة منا محبّة تامّة له ، لكان ذلـك بعض ما يستحقّه علينا .

-

ويقـول القاضـي عيـاض رحمـه اللـه تعالى : " فمـا ظنّـك بعظيم قـدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال ، إلى ما لا ينال بكسب ولا حيلـة إلاّ بتخصـيص الكـريم المتعـال من فضـيلة النبـــوّة ، والرســـالة ، والخلّـــة ، والمحبّـــة ، والاصـطفاء ، والإسـراء ، والرؤيـة ، والقـرب ، والـوحي ، والشـفاعة والوسـيلة والفضـيلة ، والدرجة الرفيعة ، والمقام المحمود ، والبراق والمعراج ، والبعث إلى الأحمر والأسود ، وإيتـاء الكتـاب والحكمـة ، والسـبع المثـاني والقـرآن العظيم ، وصلاة اللـه تعـالى وملائكتـه ، وتأييـده بالمعجزات ، وما خصّه اللـه تعـالى بـه من منـازل الكرامة ودرجات القدس ، ومراتب السعادة الـتي تقف دونها العقول ، وتحار دونها الفهوم .! " .

* نماذج من أقوال الصحابة في حبّهم للنبيّ

: ومن هنا فإذ كان أصحاب رسول الله و أعظم الناس معرفة برسول الله ، ومعرفة بكماله وجماله وعظيم إحسانه على الأمّة ، فقد كانوا أكمل الناس محبّة لرسول الله ، وأعظم الناس اشتياقاً لرؤيته ومجالسته وسماع حديثه ، وإيثار مرضاته ، والتلذّذ بطاعته وخدمته ، وفدائه ـ حقيقة لا كلاماً ودعوى ـ بآبائهم

ـ

وأمّهاتهم ، وقد أثر عنهم من ذلك المواقف الكثيرة المشرّفة ، ممّا جعلهم خير القرون التي عرفتها البشريّة ، وخير الناس بعد النبيّين والمرسلين .

ـ فمن أقـوالهم في حبّهم لرسـول الله :

ـ يقول عمرو بن العاص : (.. وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُـولِ اللَّهِ وَلَا أَجَـلَّ فِي عَيْنِي مِنْـهُ وَمَا كُنْتُ أُطِيـقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْـهُ إِجْلَالًا لَـهُ وَلَـوْ سُـئِلْتُ أَنْ أَصِـفَهُ مَا أَطَقْتُ لأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ [1] .

ويقـول أبـو هريـرة : (مَا رَأَيْتُ شَـيْئا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللـهِ ، كَـأَنَّ الشَّـمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِـهِ ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَـداً أَسْـرَعَ فِي مِشْـيَتِهِ مِنْ رَسُـولِ اللـهِ ، كَأَنَّمَا الأَرْضُ تُطْوَى لَـهُ ، إِنَّا لَنُجْهِـدُ أَنْفُسَـنَا وَإِنَّهُ لَغَيْرُ مُكْتَرِثٍ) [2] .

وعن جابر بن سمرة قال : (رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ فِي لَيْلَةٍ إِضْحِيَانٍ (أي ليلة

1(?) ـ رواه مسلم في كتاب الإيمان برقم /173/ في حديث طويل عنه .

2(?) ـ رواه الترمـذي في كتـاب المنـاقب عن رَسُـولِ اللَّهِ برقم /3581/ ، وقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ .

اكتمال القمر) فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ وَإِلَى القَمَرِ ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ ، فَإِذَا هُوَ عِنْدِي أَحْسَنُ مِنْ القَمَرِ) [1] .

* أسباب نيل محبّة الله تعالى ، ومحبّة رسوله : وبعدما ذكرنا الأسباب الفطريّة للمحبّة ، التي جعل الله تعالى منها لرسوله الكريم أتمّ حظّ وأوفى نصيب ، لا بدّ لنا أن نعرض الأسباب التي يجب على العبد أن يتّخذها ليستجلب بها حب الله تعالى ، وحبّ رسوله ، فيحيا بها قلبه وينتعش ، وتزيد الحبّ فيه وتؤجّجه ، يقول الإمام الغزاليّ رحمه الله : " أمّا بعد ؛ فإنّ المحبّة لله هي الغاية القصوى من المقامات ، والذروة العليا من الدرجات ، فما بعد إدراك المحبّة مقام إلاّ وهو ثمرة من ثمارها ، وتابع من توابعها ؛ كالشوق والأنس والرضا وأخواتها ، ولا قبل المحبّة مقام إلاّ وهو مقدّمة من مقدّماتها ؛ كالتوبة والصبر والزهد وغيرها .. وسائر المقامات إن عزّ وجودها ، فلم تخل القلوب عن الإيمان بإمكانها ، وأمّا محبّة الله تعالى فقد عزّ الإيمان بها حتّى أنكر بعض العلماء إمكانها ، وقال : لا معنى لها إلاّ المواظبة على طاعة الله تعالى ، وأمّا حقيقة المحبّة فمحال إلاّ مع الجنس والمثال .. ولمّا

1(?) ـ رواه الترمذي في كتاب الأدب عن رَسُولِ اللهِ برقم /2735/ ، وقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَـنٌ غَـرِيبٌ لا نَعْرِفُـهُ إِلاّ مِنْ حَدِيثِ الأَشْعَثِ .

أنكروا المحبّة أنكروا الأنس والشوق ، ولذّة المناجاة وسائر لوازم الحبّ وتوابعه ، ولابدّ من كشف الغطاء عن هذا الأمر .. " [1] .

وقد أرجع الإمام الغزاليّ أسباب الحبّ إلى خمسة أسباب :

1 ـ حبّ الإنسان وجود نفسه ، وكماله وبقاءه .

2 ـ وحبّه من أحسن إليه فيما يرجع إلى دوام وجوده ، ويعين على بقائه ، ودفع المهلكات عنه .

3 ـ وحبّه من كان محسناً في نفسه إلى الناس ، وإن لم يكن محسناً إليه .

4 ـ وحبّه لكلّ ما هو جميل في ذاته ، سواء حبّه أكان من الصور الظاهرة أو الباطنة .

5 ـ وحبّه لمن بينه وبينه مناسبة خفيّة في الباطن .

فلو اجتمعت هذه الأسباب في شخص واحد تضاعف الحبّ لا محالة ، كما لو كان للإنسان ولد جميل الصورة ، حسن الخلق ، كامل العلم ، حسن التدبير ، محسن إلى الخلق ، ومحسن إلى الوالد ، كان محبوباً لا محالة غاية الحبّ ، وتكون قوّة الحبّ بعد اجتماع هذه الخصال بحسب قوّة هذه الخلال في نفسها ، فإن كانت هذه الصفات

1(?) ـ إحياء علوم الدين 4/294/ .

في أقصى درجات الكمال كان الحبّ لا محالة في أعلى الدرجات .. وهذه الأسباب كلّها لا يتصوّر كمالها واجتماعها إلاّ في حقّ الله تعالى ، فلا يستحقّ المحبّة بالحقيقة إلاّ الله سبحانه وتعالى " [1] .

ويعدّد الإمام ابن القيّم رحمه الله أسباباً كثيرة **لتنمية** محبّة الله ورسوله في قلب المؤمن وزيادتها ، وأهمّها أحد عشر سبباً [2] :

ـ **أحدها** : تلاوة القرآن مع التــدبر لمعانيه ، والتفهم لما أريد به من سلوك وعمل .

ـ **ثانيها** : التقـــرب إلى الله بالنوافل من الطاعات والقربات بعد أداء الفـرائض ، واجتنـاب المحرّمـــات ، فإنها توصل المــــؤمن إلى درجة المحبوبية بعدما تقدّم من برهــان المحبة ، وترفع العبد في مقامات القرب والحبّ ، وفي الحــديث القدسيّ المشـهور عَنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ قَـالَ : قَـالَ رَسُولُ اللهِ : (إِنَّ اللهَ قَالَ : مَنْ عَـادَى لِي وَلِيّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَــيْءٍ

1(?) ـ إحياء علوم الدين 4/300 .

2(?) ـ ذكرها الإمــام ابن القيّم رحمه الله في بعض كتبه ، نذكرها هنا بتصرّف وبيان .

أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْـتُ عَلَيْـهِ ، وَمَا يَـزَالُ عَبْـدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُـهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَـرَهُ الَّذِي يُبْصِـرُ بِـهِ ، وَيَـدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَـهُ الَّتِي يَمْشِـي بِهَا ، وَإِنْ سَـأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْـتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَـرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ ، يَكْرَهُ المَوْتَ ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ) [1] .

وقد تضافرت عشرات الأدلة والنصوص من الكتاب والسنّة ، التي تبيّن أثر العمل الصالح في زيادة الحبّ لله ورسوله ، وأثر الحبّ في زيادة القــرب ، وأثر القــرب في زيــادة الحبّ وتأجّجه فالعلاقة بين الحبّ لله ورســــوله وبين العمل الصالح علاقة تأثير متبادل ، لا ينفـكّ أحـدهما عن التأثير في الآخر وزيادته .

وإنّ من شـأن المـؤمن أن يضـرب من كـلّ غنيمة من العمل الصــالح بســهم ، وأن يكــون له في كلّ ميدان من الخير نصيب ، فلا يقتصر على نوافل الصلاة ، أو الصوم ، أو الصدقة ، أو الحجّ ، أو الــذكر لله تعــالى ، وإنما يجتهد أن ينــافس المجتهـدين في كـلّ باب وأن يقـدّم محـابّ الله

1(?) ـ رواه البخاري في كتاب الرقاق برقم /6021/ .

تعالى ، وما يكون أنفع لعباده على رغائبه ومحابّه .

ـ **الثـالث** : دوام ذكر الله تعـالى على كل حـــال : باللســـان والقلب ، والعمل والحـــال . فنصـيب المـؤمن من محبة الله تعـالى على قـدر نصـيبه من هـذا الـذكر ، وكـذلك كـثرة الصـلاة والسـلام على رسـول الله ، فمن أحبّ شـيئاً أكثر من ذكره .

ـ **الرابع** : إيثـار محـابّ الله تعـالى على محابك عند غلبات الهـوى ، والتسـنّم إلى محابّه ، وإن صعُب المرتقى .

ـ **الخـامس** : مطالعة القلب لأسـماء الله تعـالى وصـفاته ، ومشـاهدتها ومعرفتها ، وتقلّبه في ريـاض هـذه المعرفة وحقائقها ، فمن عـرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله : **أحبّه لا محالة** .

ـ **السـادس** : مشـاهدة بـرّ الله تعـالى وإحســانه ، وســابغ آلائه ونعمائه ، وعظيم مننه الباطنة والظـــــاهرة ، فإنها داعية إلى محبّته ، وكثرة ذكره وشكره .

ـ **الســابع** : وهو من أعظمها وأعجبها ، انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى ، والذلّة

لعظمته وربوبيّته ، وعلى قـــــــــدر تحقّق العبد بالعبوديّة لله تعـــالى يتحقّق بالذلّة والانكسار بين يدي الله تعالى ، ويستشعر الافتقـار إليه سـبحانه ، وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأســماء والعبارات .

ـ **الثامن** : الخلوة بالله تعالى وقت الـنزول الإلهي ، لمناجاته وتلاوة كلامه ، ووقـــوف القلب ببابه ، والتـأدب بـأدب العبودية بين يديه ، ثم ختْم ذلك بالاستغفار والتوبة .

ـ **التاسع** : مجالسة المحـبين الصـادقين ، والتقـــاط أطـــايب كلامهم ، ثمـــرات أفكـــارهم وأحـــوالهم ، كما تَنتقي أطـــايب الثمر ، ولا تتكلم بين أيـــديهم إلا إذا تـــرجّحت مصــــلحة الكلام ، وعلمتَ أن فيه مزيــداً لحالك ، ومنفعة لغــيرك ، وكـــذلك دراسة ســـير الســـلف الصـــالح وفهم وأخبــارهم ، وتــذوّق مشــاعرهم ، وما فاضت به أرواحهم من معاني وحقائق وآداب ، مما لا يخرج عن مشـــكاة الكتـــاب والســـنّة وهـــديهما ، وقد حفظت لنا بحمد الله تعالى كتب السير والتراجم من ذلك الشيء الكثير .

ـ **العاشر** : تخفيف العلائق ، وقطع العوائق ، ومباعدة كل سـبب يحـول بين القلب وبين الله عــزّ وجــلّ ، فما أكــثر ما شــغلت علائق الــدنيا الإنســان ، ووقفت في وجهه العوائق ، فصـــدّته عمّا فيه خيره ، وحجبته عن صلاح أمره .!

والعاقل الموفّق من حـــزم أمـــره ، وأحكم سيره ، ولم يغترّ بزخـرف فـانٍ ، يشـغله ويصـدّه عن سعادة الأبد ، ورضوان لا يفنى .

ـ **الحادي عشر** : التفكّر في فضائل النـبيّ ومكارمه ، وما خصّـــه الله به من خصـــائص وفضـــائل ، ورحمة الله تعـــالى للإنســانيّة ، بل للعـــالمين به ، وما لقيه في ســـبيل دين الله تعــالى من عنت وإيــذاء ، وتكــذيب واســتهزاء ، وكمال رأفته وشفقته بأمته ، وحرصه على نيلها لكلّ خير ، وإبعادها عن كلّ شرّ .

يقول الإمــام ابن القيّم رحمه الله : " **ومن هذه الأسباب : وصل المحبون إلى منازل المحبة ، ونــالوا القــرب ، ودخلــوا على الحـــبيب .. ومِلاك ذلك كلّه أمـــران : استعداد الروح لهذا الشأن ، وانفتاح عين البصيرة . وبالله التوفيق " .**

ـ

فامتحن نفسك أخي المؤمن عند كلّ سبب من هذه الأسباب ، فإن رأيت منها مسارعة في مرضاة ربّك ، وما يحبّه الله سبحانه ، وفي طاعة رسوله ، والحرص على اتّباع سنّته وهديه ، فاحمد الله تعالى أن لديك براهين صدقك في محبّتك ، وإيثارك لمرضاة ربّك على شهوات نفسك .. وإن وجدت غير ذلك فالسبيل أمامك مرسوم ، والطريق آهل بالمحبّين السالكين ، وساعات السبق بالرهان محدودة بأنفاس هذه الحياة ، فلا تكن من القاعدين المفرّطين المحرومين .؟! والسعيد من وفّقه الله تعالى وهداه .

* محبّة الله تعالى لعبده ، ومحبة العبد لربه :

واعلم أخي المؤمن أن جميع الأدلة ــ عقلاً ونقلاً وفطرة ، وقياساً واعتباراً ، وذوقاً ووجـداً ــ تـدل على إثبــات محبة العبد لربه ، ومحبة الله تعــالى لعبده .

* والذي أجمع عليه العارفون في قوله تعالى : { **يحبّهُم ويحبُّونَه** } على إثبات محبة العبد لربه سبحانه ، وإثبات محبة الرب لعبده ، وأن محبة العبد لربّه فوق كل محبة تقدّر ، ولا نسبة لسائر المحابّ إليها ، وهي حقيقة كلمة التوحيد : " **لا إله إلا الله** " وروحها ، وأنها صفة زائدة على الطاعة والاستقامة والعمل الصالح .

-

وكــذلك محبــة الــربّ لأوليائــه ورســله ، وللمؤمنين من عباده : صفة زائدة على رحمتـه ، وإحســانه وعطائــه ، فــإنّ ذلــك أثــر المحبــة وموجبها ، فإنه لما أحبهم كان نصيبهم من رحمته وإحسانه وبره أتمَّ نصيب .

ولعل أرفع ما جـــاء في محبّة الله تعـــالى لعباده ما جاء في الحديث عن أبي هريرة قال : قــال رســول الله : (إِذَا أَحَبَّ اللــهُ الْعَبْـدَ نَادَى جِبْرِيــلَ : إِنَّ اللــهَ يُحِبُّ فُلاناً فَأَحْبِبْـهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيــلُ فَيُنَـادِي جِبْرِيــلُ فِي أَهْــلِ السَّــمَاءِ : إِنَّ اللـــهَ يُحِبُّ فُلاناً فَــأَحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَـهُ الْقَبُـولُ فِي الأَرْضِ ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْـداً دَعَا جِبْرِيــلَ فَيَقُولُ : إِنِّي أُبْغِضُ فُلاناً فَأَبْغِضْـهُ ، قَـالَ : فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّـمَاءِ : إِنَّ اللــهَ يُبْغِضُ فُلاناً فَأَبْغِضُــوهُ ، قَــالَ : فَيُبْغِضُــونَهُ ، ثُمَّ تُوضَــعُ لَــهُ البَغْضَــاءُ فِي الأَرْضِ) [1] .

1(?) ـ رواه البخــاريّ في كتــاب بــدء الخلق بــرقم /2970/ ومسلم في كتاب البرّ والصلة والآداب برقم /4772/ .

ألا ما أعظم آثـــار هـــذه المحبّة ، وما أرفع حـظّ العبد منها ، ولو لم يكن فيها غـير هـذه الآية الكريمة ، وهذا الحديث الشريف لكفى بأصـحابها شرفاً وعزّاً ، ومنزلة ورفعة .!

وإن العقول لتحكم بوجوب تقديم محبة الله تعـالى على محبة النفس والأهل ، والمـال والولد ، وكلِّ ما سوى ذلك .

وكلُّ من لم يحكم عقله بهذا : فهو مطموس البصيرة ، فلا تعبأ بعقله ، فإن العقل والفطرة ، والشرع والنظر ، كلّها تدعو إلى محبته سبحانه ، بل إلى توحيده في المحبّة ، وإنما جاءت الرسل بتقرير ما في الفطر السليمة ، والعقول الرصينة .

* كيف تنبت المحبّة .؟ وكيف تثبت .؟ يقــول الإمام ابن القيم رحمه الله تعـالى : **" وأول مـا تنبت المحبة في القلب من مطالعة المنة ، وتثبت باتباع السنة** .

أي أنهـا تنشـأ من مطالعـة العبـد مِنّـة اللـه عليه ، ونعمه الباطنة والظاهرة ، فبقدر مطالعتـه ذلك تكـون قـوة المحبـة ، فـإن القلـوب مجبولـة على حبّ من أحسن إليها ، وبُغض من أساء إليها

، وليس للعبد قط إحسان إلاّ من الله ، ولا إساءة إلا من الشيطان .

* ومن أعظم منة الله تعالى على عبده : تأهيله لمحبته ومعرفته ، وإرادة وجهه ، والحرص على متابعة حبيبه .

وأصل هذا : نور يقذفه الله في قلب العبد ، فإذا تغلغل ذلك النور في قلب العبد : أشرقت ذاته ، فرأى فيه نفسه ، وما أُهّلت له من الكمالات والمحاسن ، فَعَلَتْ به همّته ، وقويت عزيمته ، وانقشعت عنه ظلمات نفسه وطبعه ، لأن النور والظلمة لا يجتمعان إلا ويطرد أحدهما الآخر ، فتاقت الروح حينئذ إلى الحبيب الأول :

نَقِّل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحبّ إلاّ للحبيبِ الأوّلِ

كم منزلٍ في الأرضِ يألفُه الفتى وحنينُه أبداً لأوّل منزل .!

وهذا النـور كالشـمس في قلـوب المقـرّبين السابقين ، وكالبـدر في قلوب الأبـرار أصـحاب اليمين ، وكالنجم في قلوب عامّـة المؤمـنين . وتفاوتهم فيه كتفاوت ما بين الزهرة والسُهَى .

ورسوخ هذه المحبة وثباتها في القلب ، إنما يكـون بمتابعـة الرسـول في أعمالـه وأقوالـه ، وأخلاقـه وأحوالـه ، فبحسـب هـذا الاتبـاع يكـون منشـأ هـذه المحبـة وثباتهـا وقوتهـا ، وبحسـب نقصانه يكون نقصانها وهذا الاتباع يوجب المحبـة والمحبوبية معاً ، ولا يتم الأمر إلا بهما .

واعلم أخي المؤمن أنك لا يحبك الله إلا إذا اتبعت حبيبـه ظـاهراً وباطنـاً ، وصـدّقته خَبَـراً ، وأطعتـه أمـراً ، وأجبتـه دعـوة ، وآثرتـه طوعـاً ، وفـنيت عن حكم غيره بحكمه ، وعن محبّة غيره من الخلق بمحبته ، وعن طاعته غيره بطاعتـه ، وإن لم يكن ذلـك فلا تتعنّ ، وارجـع من حيث جئت ، فـالتمس لنفسـك نـوراً ، ولا تغـترّ بنفسـك ومـا أنت عليـه ، فلسـت على شيء في هذا السبيل .

وتأمل قوله تعالى : { **فـاتّبِعُونِي يحببكُمُ الله ، ويغفِر لكُم ذُنُوبَكُم** } آل عمـران 31 أي الشـأن في أن اللـه يحبّكم ، لا في أنكم تـدّعون حبّه ، وهذا لا تنالونه إلا باتباع الحبيب المصـطفى .

-

وتتصـاعد المحبـة حـتى تبعث على إيثـار الحـق على غـيره ، وتُلهِج اللسـان بـذكره ، فهي لكمالهـا وقوتهـا ، تقتضـي من المحب أن يـترك لأجل الحـق مـا سـواه ، فيـؤثره على غـيره ، ولا يؤثر غيره عليـه ، ويجعـل اللسـان لَهِجـاً بـذكره ، فإن من أحبّ شيئاً أكـثر من ذكـره حـتى كأنّـه لا يشاهد غيره ولا يراه .

ـ **وإنما تنال هذه المحبّـة** من مطالعـة صفات الله تعالى : بإثباتها أولاً ، ومعرفة معانيهـا بنفي التحريف والتعطيل ، والتمثيل والتكييف عن معانيها ونصوصها ثانياً ، والتذوّق لمعانيها بـالتفكر في بديع الصنع ، وجليل الحكمة ، وعظيم اللطف والرحمة ثالثاً ، فلا يصحّ للعبـد مطالعـة الصـفات الباعثـة على المحبـة الصـحيحة إلا بهـذه الأمـور الثلاثة ، وكلما أكثر قلبه من مطالعتهـا ، ومعرفـة معانيهـــا والتـــذوّق لآثارهـــا : ازدادت محبتـــه للموصـــوف بهـــا ، وعظمت هيبتـــه في قلبـــه وإجلاله .

وتزداد المحبّة تصاعداً بالنظر إلى الآيات نظر التفكّر والاعتبار : آيات الله المشهودة ، وآياته المسموعة ، وكلٌّ منهما داعٍ

قويٌّ إلى محبّته سبحانه ، لأنّها أدلّة على صفات كماله ، ونعوت جلاله ، وودلائل على توحيد ربوبيته وإلهيته ، وبراهين على حكمته وعلمه ، وإحسانه وعفوه ، وجوده وحلمه .

* العلاقة بين الحـــقّ والصـــدق والحبّ :

والحــديث عن الحبّ ، يحــدونا إلى الحــديث عن العلاقة بينـه وبين كلمـتين حبيبـتين إلى قلب كـلّ مؤمن ، عزيـزتين على نفسـه ، همـا على درجـة كبـيرة من العلاقـة بـه والاتّصـال ؛ إنهمـا الحـقّ والصدق ، حتّى لكأنّ الحديث عن إحـداهما إن لم يكن حديثاً عن الأخرى ، فهو تذكير به ، أو هو بــه أشبه .

الحقّ الـذي قـامت بـه السـموات والأرض ، والصدق الـذي هـو صـنو الحـقّ ونـوره ، وبرهانـه وسرّه ، باطنه الإخلاص وصفاؤه ، وظـاهره عـزّة الإرادة ، سموّ الغاية .

وإن بين الحقّ والصدق والحبّ رابطة وشيجة ، وعلاقة وثيقة ، تجعـل من حقـائق هـذه الكلمـات الثلاث وروابطهـا أسّـاً تقـوم عليـه كـل الفضائل الإنسانية ، والكمالات الإيمانيّة ؛

فالصـدق مـرآة شخصـيّة الإنسـان ، تنعكس عليهـا صـفاته وأخلاقـه ، ومنهجـه ومواقفـه ، لأن الصـدق يعطي صـاحبه الإقبـال العـازم ، والهمـة الطمـــوح ، والجـــرأة والصـــراحة ، وألا يحـــابي المؤمن في الحق أحداً ، ولا تأخذه في الله لومـة لائم .

والصدق مفتـاح النبـوة ، أليس الصـدق أهمّ صفات الرسل ، وأجلّ ما تمتّعوا به ..؟

ثم أليس النـبي قـد جعـل صـدقه مـدخلاً لقريش إلى الإيمان بنبوّته من أول يوم .؟

فعلى قدر صدق المـؤمن يقـترب من مقـام النبــوة وأخلاق النــبي ، وعلى قــدر بعــده عن الصـدق يبتعـد : { **والـذي جـاءَ بالصـدْقِ ، وصـدّق بـهِ أولئـك هُمُ المتّقـون** } [الزمـر 33] .

ثم إن للصــدق جــذراً مكينــاً في فطــرة الأخيار المتقين ونفوسهم ، يتّصل به جذع متين ، صورته وجسده الحـقّ ، وروحـه وحياتـه الحبّ ، ولذلك الجذع علائـق متميّـزة مـع كـل شـيء في هذا الوجود ؛

ـ فالصدق مع الله تعـالى يهـدي ، وهـو سـرّ من أسرار القدر في الهداية والتوفيق .

ـ والصدق مع الحقّ ، يقـود إلى حبّـه ، والبحث عنه ، وإيثاره ، والرجوع إليه ، والجرأة فيه والقوة ، والتضـــحية لأجلـــه ، وصـــاحبه لا يـــداهن ، ولا يماري ، ولا يواري .

ـــ والصــدق مـع النفس ، يكشــف عيوبهــا ، ويعرف بحقيقتها ، ويلزمهـا حـدّها ، ويحمـل على تزكيتها .

ـ والصدق مـع النـاس ؛ يحـدد أبعـاد العلاقـة بهم ، ويحمل على إخلاص النصح لهم ، ويمنع من مجاراتهم في أهوائهم وباطلهم .

ومن هنا كان الصدق يهدي إلى كلّ خير وبرّ ، كما جـاء في الحـديث الصـحيح عَنْ عَبْدِاللــهِ بن مسعود عَنِ النَّبِيِّ قَالَ : **(إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِـرَّ يَهْـدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُـلَ لَيَصْـدُقُ حَتَّى يَكُـونَ صِـدِّيقًا ، وَإِنَّ الْكَـذِبَ يَهْـدِي إِلَى الْفُجُـورِ ، وَإِنَّ الْفُجُـورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْـذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا)** [1] .

1(?) ـ رواه البخاريّ في كتاب الأدب بـرقم /5629/ ومسـلم

إنّ كلمة الصدق نصرة للحقّ ، وإعلاء لشأنه ، وإنّ كلمـــة الكـــذب ســـعي في نقض الحـــق ، وتوهين أمره ، فإذا لم تكن ناصراً للحق ، مدافعاً عنه ، فلا أقـلّ من ألاّ تكـون سـاعياً في توهينـه ، وإضعاف صفّه .

وإن لحظة الصدق الواحدة ، ذات وزن كبير ، وأثـر جليـل ، فمـا يقطعـه المـؤمن في لحظـة الصـــدق أبعـــد ممـــا يقطعـــه راكب الطيـــارة من الماشـــي على قدميـــه في أرض وَعْـــرة حَزْنـــة ، وأشبه ما يكون في عصـرنا بالحركـة الألكترونيـة بالقياس إلى الحركة اليدوية البدائية ، التي تحتاج إلى جهد ووقت ، وهي محدودة المجال والأثر .

وصدق المـؤمن في سـيره إلى اللـه تبـارك وتعالى إنما هو زاده ورصيده على مرور الأنفاس ، وعدد اللحظات .

ـ **وأما الحقّ** ؛ فمنطلقه ومسـتقره العقـل الحصيف ، والفكر الحرّ المتجـرد عن العصـبيّة أو الهوى ، وهو الثمرة الطيّبة للصدق ، ولـه بـالحبّ أوثق ارتباط واتّصال ؛ ألم يقل الحـقّ جـلّ جلالـه عن الكافرين الجانحين عن الإيمان بالحقّ وإيثاره

في كتاب البرّ والصلة والآداب برقم /4719/ .

ـ

في حياتهم : { **وأكثرُهُم للحقّ كارهُون** } الزخرف 78 ، فكان مقتضى كلامه سبحانه أن يتّصل الحقّ بالحبّ ، ولا ينفكّ عنه .

ـ **وأما الحبّ** ، فلا نقصد به العاطفة الهوجاء المنفلتة ، واندفاعات الأهواء الجامحة ، بل نريد به التوجّه الصادق إلى الحقّ ، والتوجيه السامي لتلك العاطفة الفطرية ، وتهذيبها ، والتسامي بها على هدى الحقّ الذي يحدد لها سبيلها ، ويرسم لها مسارها ، ويوضّح لها أبعادها ، فلا تشتطّ ولا تميل ، ولا تغلو ولا تقصّر .

وهي بدورها تنهض بالحق ، وتسمو به عن أن يكون فكرة ذهنية باهتة ، أو فلسفة مجردة ، إنها تتفاعل بالصدق مع الحق ، ويتحرك بها ، ليكون منهما واقع يترجم الحق ويترسم خطاه .

وما أجمل هذا التصوير الدقيق للتنافر الذي يكشف عنه القرآن الكريم بين الحقّ الذي قامت به السموات والأرض ، وبين اتّباع الهوى ، الذي يجنح إليه الغارقون في ظلمات شهواتهم ، الذين يريدون للكون أن يحكم بأهوائهم ؛ إذ يقول الحقّ سبحانه : { **ولَو اتّبعَ الحقّ أهواءَهُم**

لَفسَـدَتِ السَّـمَوَاتُ والأرضُ ومَن فِيهِنّ ..
} المؤمنون 71 .
ثمّ إن الحبّ يغذيه الصـدق ويمـدّه وينمّيـه ، ليكون أزكى ما يرفع الإنسـان ، ويسـمو بـه على المشاعر الهابطة ، والنزوات المتدنية .
إنّـه يتحـدد سـموّه من أول الطريـق عنـدما يبتـدىء بحبّ اللـه تعـالى ، وحبّ رسـوله ، ولا يكتفي بـدعوى الحبّ ، بـل لابـدّ من صـدق تلـك الدعوى ، وتقـديم برهانهـا من الطاعـة والاتبـاع ، ليتحقّــق المــؤمن بكمــال الإيمــان ، وليتــذوّق حلاوته ، كما سبق في الحـديث الشـريف : (**أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلاّ للهِ** ..) .
إن الحبّ للــه ورســوله ، وكمــال هــذا الحبّ ، هو مبدأ النظـرة إلى كـلّ شـيء في هـذا الوجود ، ومبدأ العلاقة مع كل شـيء ، فكـل حبٍّ بعده يجب أن يكون تابعاً له مستوحى منه .
فعلاقة الإنسان بالإنسان : زوجاً كان أو ولداً ، أو قريبــاً أو صــاحباً ، وعلاقــة الإنســان بمالــه ومسكنه ، ومتاعه وتجارته ، ودنياه كلها ، ونظـرة الإنسان إلى الأفكار والقيم والمشاعر ، والعادات

والتقاليد ، كل ذلـك ، وغـير ذلـك يجب أن يكـون تابعاً لحبّ الله تعالى ورسوله ، ومسـتوحى من شرعه وهديه .

ومن هنا كانت : (أوثق عرا الإيمان ، الحبّ في الله ، والبغض في الله) ، كمـــا جـــاء في الحديث الشريف الصريح [1] .

ويحـــزّ في النفس أن نقـــول : إن هـــذه المفـاهيم أصـبحت غريبـة على تفكـير كثـير من شباب الدعوة ، وتصـوراتهم واهتمامـاتهم ، لأنهم يدورون في فلـك ثقافـة العقـل ، والحـرص على تغذية الفكر ، وربمـا كـان همّ أحـدهم في نصـرة دين اللـه تعـالى أن يقتطـع سـاعات طويلـة من حياتـه ومجالسـه بالجـدل والمـراء ، والاشـتغال بالتخطيـــط النظـــريّ ، والتنظـــير الفلســـفيّ ، والقلـــوب خـــواء ، والأرواح جدباء ، ولكنّ هـــذه المفاهيم في الحقيقـة معـادلات إيمانيـة أصـيلة دقيقـــة ، وأحســـب أنهـــا أبجـــديات في الـــدعوة والعمـل ، يهتـدي إليهـا الربـانيون في كـل عصـر وجيل ، ويتعاملون بها ، ويربون الناس على هديها

1(?) ـ رواه أحمد من حديث البراء بن عازب .

، فيكونون على قدم النبـوة في التربيـة والبنـاء ، والتكوين المتّزن السليم .

إنّ الصـدق والحـقّ والحبّ أصـول لابـدّ منهـا في حيـاة كـل مـؤمن ، فلا يسـتقيم بنـاء الشخصية الإسلامية بدونها ، كما لا تقوم الجماعة المسـلمة ، وتتوثـق روابطهـا ، وتتصـل وشـائجها بغير وجودها بصورة متعادلة دقيقة .

ـ فإذا انتقص الصدق ، أصـبح الحـق ضـعيفاً باهتـاً ، واتجـة الحبّ نحـو الأهـواء والشـهوات ، وأنواع من الضلالات .

ـ وإذا ضعف الحق ، قدح ذلك في الصـدق ، وكان من ورائه الابتـداع والضـلال ، واتّجـه الحب وجهات غير مضبوطة بالحق وهديه ، فكان أهـواء لا يقرهـا الشـرع ، ولا يرضـى بهـا ، وقـد يحسـب صاحبها أنه على خير ، لجمـوح عاطفتـه ، وعـرام رغبته .

ـ وإذا ضعفت جذوة الحب ، أصبح حامل الحـق قاسـياً جافيـاً ، ينفِّر النـاس ولا يـؤلفهم ، ويفـرق صـفوفهم ولا يجمعهم ، فـإذا رأى منهم الجفـوة عن دعوتـه والنفـور عـاد باللائمـة على النـاس ، وربما ظنّ وادّعى أن ذلك بسـبب النفـوس الـتي

أكثرهـا لا تقبـل الحـق ولا تألفـه ، ولم يعـد على نفسـه بالملامـة ، والحـرص على اكتشـاف أسـباب التقصـــير ، ولم يعلم أن اختلال مقـــادير هـــذه المفـــاهيم ونســـبها الدقيقـــة ، وعـــدم اتّـــزان شخصـيته ، وضـعف تكوينـه الفكـري والـتربويّ ، هي الأسـباب في نفـرة النـاس منـه ، وصـدّهم عنه .

ـــ وإنّ حملـك للحـق أخي المـؤمن بقـوة الصدق لا تغنيك عن جذوة الحب وصفاء العاطفة ، وروح الرحمة .

كمـا أن جهلـك بـالحقّ ، لا تعـذرك بـه قـوّة الصـدق الـتي تحملهـا بين جوانحـك ، ولا جـذوة الحبّ الفيّاضة المتّقدة ، فتحقّـق أخي المـؤمن ! بتلك المعادلة الدقيقة المتوازنة ، الـتي لا يفقههـا إلا خيار الناس ، لتكون عند الله من كمّل الرجال .

* مواقف الحبّ ، وثمرات المعرفة والقرب :

وبعد ما تحدّثنا عن السبيل إلى الحبّ الصادق ، وذكرنا أسبابه التي لا بدّ منها ليتحقّق في نفس المؤمن ويتمكّن ، يحسن بنا أن نعرض بعض ثمرات هذا الحبّ ، وآثاره في الفرد والجماعة ، وما تحقّق في حياة الناس من عجائب الانقياد

والطاعة ، وخير ما يلتمس ذلك في سيرة الصحابة مع النبيّ ، الذي خصّه الله بأعظم الخصائص ، وحباه أكرم الفضائل ، وجمع له أسمى صفات الجمال والكمال ، وأبلغ معاني الحسن والإحسان ، وأرسله رحمة للعالمين ، وجعله رءوفاً رحيماً بالمؤمنين ، " فمن رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبّه " ، يحسب كل جليس من جلسائه ، أنه أحبّ الناس إليه ، وأكرمهم عنده منزلة ، لما يرى من حسن إقباله عليه ، واهتمامه بملاطفته وحديثه ، يقول واصفه عليّ : " لم أر قبله ولا بعده مثله " .

* فمن أعظم ثمرات الحبّ الصادق :

1 ـ الطاعة والاتّباع ، ودقّة التنفيذ والالـتزام بأمر الله تعـالى ، وأمـر رسـوله ، هـذا الالـتزام والطاعة التي لا يعرفها الناس في حيـاتهم إلاّ في الأنظمة العسكريّة ، ولكن التنفيذ فيها لايكون إلاّ بقــوّة النظــام وشــدّته ، وهيمنــة العقوبــات الرادعة ، لمن يشذّ أو يخالف ، أمّا دقّة التنفيــذ والالتزام في علاقة المؤمن بدين الله وسنّة نبيّــه ، فـإن باعثهـا الحبّ للـه ورسـوله ، والحـرص على مرضاة الله ومثوبته .

2 ــ الخـروج عن أهـواء النفس وحظوظهـا وشهواتها ، وأن يكون هـوى المـؤمن تبعـاً لشـرع الله تعالى وهدي نبيّه ، كما جاء في الحـديث : (لا يُؤمِنُ أحدُكُم حتّى يَكونَ هَواه تَبعاً لما جِئتُ بهِ) [1] .

3 ـ فـداء رسـول اللـه بـالنفس وتعريضـها للأخطــار دونــه ، ويبلــغ المــؤمن ذلــك بالنيّــة المخلصة ، والعزيمة الصادقة ، ولـو لم يعش مـع النبيّ ، ولم يكن في عصره .

* نماذج فذّة ، ومواقف نادرة :

وقـد كـان الصـحابة ، وسـلف هـذه الأمّـة الصـالح ، يستشـعرون حبّهم لرسـول اللـه في كـلّ موقــف ، ويرونــه أعظم القربــات إلى اللــه تعــالى ، وأجــلّ حقــائق الإيمــان ، الــتي ينبغي للمؤمن أن يتحقّق بها ، لقـد انـدفع إليـه أصـحابه بالحبّ الصادق ، والطاعـة والاتّبـاع ودقّـة التنفيـذ والالتزام ، والخروج عن أهواء النفس وحظوظهـا وشــهواتها ، وفــداء رســول اللــه ، بــالنفس

1(?) ـ رواه الإمام النـوويّ رحمه الله في الأربعين ، وقـال : حديث حسن صحيح ، رويناه في كتاب الحجّة بإسناد صـحيح ، وتعقّبه ابن رجب فضــعّفه من وجــوه ، انظر جــامع العلــوم والحكم /393/ .

وتعريضها للأخطار دونه ، لقد اندفعوا في ذلك كله كما يندفع الماء إلى الحدور ، وانجذبت إليه النفوس والقلوب كما ينجذب الفراش إلى النور ، كأنما كان من القلوب والأرواح على ميعاد ، وأحبّه أصحابه ورجال أمته وأطاعوه ، وفدوه بأرواحهم ومهجهم ، حباً وطاعة وفداء لم يسمع بمثل ذلك في تاريخ الأمم مع أنبيائها ، أو مصلحيها وقادتها ، ووقع في ذلك من خوارق الحبّ والتفاني في طاعته ، وإيثاره على النفس والأهل والمال والولد مالم يحدث قبله ، ولن يحدث بعده مثله ؛

* دقّة الطاعة والجنديّة الصادقة :

فمن ذلك أن النبيّ أعطى الراية يوم خيبر عليّ بن أبي طالب وقال له : (امشِ ، ولا تلتفِت ، حتّى يفتحَ الله عليكَ) ، فسار عليّ شيئاً ثمّ وقف ، ولم يلتفت ، ونادى : " يارسول الله .! على ماذا أقاتل الناس .؟ فلم ينس قول النبيّ : (امش ولا تلتفت ..) واحتاج إلى سؤال النبيّ عن شأن هامّ من شئون القتال فوقف وسأل ، ولم يلتفت .

* وللنساء نصيب كبير من الحبّ والفداء :

" ولما كان يوم أحد ، أقبلت امرأة تسـعى ، حتى كادت أن تشرف على القتلى ، فكره النـبيّ أن تراهم ، فقال : المرأة .! المرأة .!

قال الزبير بن العوّام : فتوسّمت أنها أمي ـ وهي صفيّة بنت عبد المطّلب رضي الله عنهـا ، بلغها أن المشركين قتلوا أخاها حمـزة ، ومثّلـوا به ، فهي تريد أن تراه .

قال : فخرجت أسعى إليهـا ، فأدركتهـا قبـل أن تنتهي إلى القتلى ، فلدمت في صدري ، ــ أي دفعته دفعـاً شـديداً ــ وكـانت امـرأة جَلـدة ــ أي شديدة ـ وقالت : إليك عني لا أرض لك .

فقلت لها : إن رسول الله عـزم عليـك ألاّ تذهبي ، فوقفت ولم تتحرّك من مكانها .

نعم .! وقفت ، ولم تتحـــرّك من مكانهـــا ، لأنها تلقّت أمر رسول الله ، فسـمعاً وطاعـة .! إنهـا الجنديّـة المثلى ، تتجلّى في أشـدّ سـاعات الهول ، ونزول المصيبة .!

ــ وروى ابن إسـحاق في السـيرة أن امـرأة من الأنصار رضي الله عنها ، قُتـل أبوهـا وأخوهـا وزوجها يوم أحد مع رسول الله ، فلمـا أخـبرت قالت : ما فعل رسول الله .؟ قالوا : خيراً ، هو

بحمـد اللـه تعـالى كمـا تحبّين ، فقـالت : أرونيـه حتى أنظر إليه ، فلما رأته قالت : **" كل مصيبة بعدك جلل "** أي : صغيرة .

* عندما يشتدّ البأس تظهر حقائق الحبّ المكنون :

فمن ذلـك قصّـة أبي دجانـة يـوم أحـد : إذ ترّس بنفسه دون رسول الله مع ثلّة كريمة من أصحاب المصطفى .

وكان مثل ذلك من نسيبة بنت كعب رضي الله عنها .

* وأي برهان أعظم من التضحية والفداء .؟!

ومن ذلــك موقــف زيــد بن حارثــة ، مــولى رسول الله ، يـوم الطـائف ، إذ كـان يتلقّى دون المصطفى الحجـارة الـتي يـرمى بها من سـفهاء ثقيف وغلمانهم ، وفي ذلك يقول بعض المادحين :

كـــان يلقى عنه الحجـــارة زيد   إن روحي لنعل زيد فداءُ

وقد بادله رسول الله هذا الحبّ العجيب بالحبّ والإيثار ، ومن هنا فكان يسمّى حبّ رسول الله ، وكان ابنه أسامة يسمّى حبّ رسول الله وابن حبّه .

* شـهادة من أبي سـفيان تكشف عن خطر الحبّ : لما أخرج المشركون زيد بن الدثنة ، من الحرم ليقتلوه ، قال له أبو سفيان بن حـرب ، وكان على الشرك : أنشدك الله يازيد .! أتحبّ أن محمّداً الآن عندنا نضـرب عنقه ، وأنك في أهلك .؟ فقـال زيد : " والله مـاأحبّ أن محمّـداً الآن في مكانه الـذي هو فيه تصـيبه شـوكة ، وأني جـالس في أهلي " ، فقـال أبو سـفيان : " ما رأيت أحداً من الناس يحبّ أحـداً كحبّ أصـحاب محمّد محمّداً " .

* ويوم الحديبية قدّم الصـحب أكـبر شـهادة : فقد قال عروة بن مسـعود الثقفيّ لأصـحابه من المشركين ، بعـدما رجـع من مفاوضـة النـبيّ ، عند الحديبية : **" أي قوم ! والله لقد وفدت على الملـوك ، على كسـرى وقيصـر والنجاشي ، والله ما رأيت ملكاً يعظّمه أصـحابه مـا يعظّم أصـحابُ محمّـدٍ محمّداً ، واللـه إن تنخّم نخامـة إلاّ وقعت في كفّ رجـل منهم ، فـدلك بهـا وجهـه وجلده ، وإذا أمرهم ابتـدروا أمـره ، وإذا توضّأ كادوا يقتتلـون على وضـوئه ، وإذا**

تكلّم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له " .

لقد أحاط النبيّ أصحابُه بالحبّ والتبجيل ، ودقّة الأدب التي لم يكن للعرب بهـا أيّ عهـد أو علم أو معرفة مـع أيّ عظيم من عظمـائهم ، أو كبير من كبرائهم ، ولم يكن ذلك عن تصـنّع غـير صادق ، أو تظاهرٍ منافقٍ ، وإنما عن حقيقــةٍ من الحبّ والصـدق ، والـبرّ والوفـاء ، بهـرت ألبـاب الآخــرين ، وشــدهت أنظــارهم ، فشــهدوا تلــك الشــهادات بكــلّ إكبــار وتقــدير ، وانطلقت من ألسنتهم تلك الكلمات ، التي انتزعتها منهم شدّة الإعجاب بما رأوا وعاينوا ..

ولم لا يكونــون كــذلك .؟! ألم يبشّــر اللــه بنصّ كتابه : { **الذين آمنُـوا بــهِ ، وعَـزّرُوه ، ونَصَرُوهُ ، واتّبعُوا النُّورَ الذي أُنزِلَ معَـهَ ، أُولئكَ هُمُ المفلِحُون** } [الأعراف 157] .

فكانوا المفلحين حقّاً ، وكانوا خـير القـرون عدلاً وصدقاً ..

وإن هــذه المواقــف من الحبّ الصــادق ، والفـداء النـادر لتـذكّرنا بصـورة من الحبّ الـتي حباها الله نبيّه ، وهو لم يزل بعـد في طفولتـه

–

الأولى ، ســواء عنــد حليمــة الســعديّة ، أو بين أترابه ، أو بعد أن أكرمه اللـه بـالوحي والنبـوّة ، فعاداه الطغاة المتجبّرون ، وحدب عليه عمّه أبو طـالب ، ووقـف يـدافع عنـه ، ويحميـه من أذى قومــه ، وهــو لم يــزل على دينهم وعقيــدتهم ، وقال في ذلك :

وأبيضَ يُستسقى الغمامُ بوجهِه ثمالُ اليتامى عِصمةٌ للأراملِ

وفيها يقول :

ونُسلمَه حتّى نُصرّعَ حولَه ونذهلَ عن أبنائِنا والحلائلِ

أي : ولن نسلمه .

ولا عجب في ذلك كلّه فبعد أن تــــــوجّهت العناية الإلهيّة إلى الحــبيب المصــطفى بغاية الحبّ والاجتبــاء والرضا ، فــإن من أثر ذلك أن يكون له القبول بين العباد وسائر خلق الله ..

ولا تزال شواهد ذلك ودلائله تتكرّر وتعاد إلى يومنا هذا ، والسعيد الموفّق من تقوده تلك العاطفة الصادقة إلى الإيمان والهداية .

* عـدّة الأتقيـاء ليـوم البعث والجـزاء : ومن ذلــك مــا جــاء في الصــحيحين عَنْ أَنَسٍ أَنَّ

رَجُلاً سَـأَلَ النَّبِيَّ عَنْ السَّـاعَةِ فَقَـالَ : مَتَى السَّاعَةُ ؟ قَالَ : وَمَاذَا أَعْـدَدْتَ لَهَا ؟ قَالَ : لا شَيْءَ إِلاّ أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُـولَهُ ، فَقَـالَ : (أَنْتَ مَـعَ مَنْ أَحْبَبْتَ) قَـالَ أَنَسٌ : فَمَا فَرِحْنَا بِشَـيْءٍ فَرَحَنَا بِقَـوْلِ النَّبِيِّ : (أَنْتَ مَـعَ مَنْ أَحْبَبْتَ) ، قَـالَ أَنَسٌ : فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ وَأَبَا بَكْـرٍ وَعُمَـرَ وَأَرْجُو أَنْ أَكُـونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ) [1] .

ويعلّل الإمـام القرطـبيّ رحمـه اللـه تعـالى فـرح الصـحابة بـذلك فيقـول : " وإنمـا كـان فرحهم بهـذا القـول أشـدّ من فـرحهم بسـائر أعمـال الـبرّ ، أنهم لم يسـمعوا أن في أعمـال

1(?) ـ رواه البخاريّ في كتـاب المنـاقب بـرقم /3412/ـ و /5701/ و/5705/ و/6620/ ومسـلم في كتـاب الـبرّ والصـلة والآداب برقم /4775/ و/4778/ـ ، وكما يحمل هذا الحـديث بشـارة عظيمة ، لمن يحبّ الله ورسـوله ، وعبـاد الله الصالحين ، فإنه يحمل تهديداً ووعيداً ، وإنذاراً شـديداً ، لمن منح هذه النعمة العظيمة ، والجوهرة الثمينة ، جـوهرة الحبّ ، وإخلاص القلب ، لمن لا يستحقّها ، ممن يحـادّ الله تعـالى ، ويكـذّب رسـوله ، ويحـارب دين الله ، ويكيد لأوليائه ، بل يسـتحقّ نقيضـها من البغض في الله تعـالى ، والمجاهـدة والحرص على كسر الشوكة : { فليحذرِ الـذين يخـالفُون عن أمرِه أن تُصيبهم فتنةٌ ، أو يُصيبهم عذابٌ أليمٌ } النور 63 .

البرّ عملاً يحصل به ذلك المعنى من القــرب من النـبيّ ، والكـون معـه إلاّ حبّ اللـه ورسـوله ، فأعظِم بأمر يلحق المقصّر بالمشمّر ، والمتـأخّر بالمتقدّم .. " .

فهل رأيت أخي المؤمن من ثمرة أعظم من المعيّة مع المحبوب .!؟

قال الله تعالى : { ومَن يُطع الله ورسولَه فأولئك مَع الذينَ أنعمَ الله عليهم مِن النبيين والصدّيقين والشهداءِ والصالحينَ ، وحَسُنَ أولئكَ رَفيقاً (69) ذلك الفضلُ مِن اللهِ ، وكفَى باللهِ عليماً (70) } النساء .

قال الإمام القرطبيّ في تفسيره لهذه الآية : " وقالت طائفة : إنّما نزلت هذه الآية لما قال عبد الله بن عبد ربّه الأنصاريّ ـ الذي أري الأذان ـ يا رسول الله إذا متّ ومتنا كنت في علّيّين لا نراك ، ولا نجتمع بك ، وذكر حزنه على ذلك ، فنزلت هذه الآية . وذكر مكّيّ عن عبد الله هذا وأنّه لما مات النبيّ قال : اللهم أعمني حتّى لا أرى شيئاً بعده ، فعمي مكانه . وحكاه القشيريّ فقال : اللهم أعمني لا أرى شيئاً بعد حبيبي ، حتّى ألقى حبيبي ، فعمي مكانه . وحكى الثعلبيّ : أنّها نزلت في ثوبان مولى رسول الله ، وكان شديد الحبّ له ، قليل الصبر عنه ، فأتاه ذات يوم وقد تغيّر لونه ، ونحل جسمه ، يعرف في وجهه الحزن ، فقال له : يا ثوبان ما غيّر لونك .؟! فقال : يا رسول الله

ما بي ضرّ ولا وجع ، غير أنّي إذا لم أرك اشتقت إليك ، واستوحشت وحشة شديدة حتّى ألقاك ، ثمّ ذكرت الآخرة ، وأخاف ألاّ أراك هناك ، لأنّي عرفت أنّك ترفع مع النبيّين ، وأنّي إن دخلت الجنّة كنت في منزلة هي أدنى من منزلتك ، وإن لم أدخل فذلك حين لا أراك أبداً فأنزل الله تعالى هذه الآية .

{ فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم .. }

أي هم معهم في دار واحدة ، ونعيم واحد ، يستمتعون برؤيتهم والحضور معهم ، لا أنّهم يساوونهم في الدرجة ، فإنّهم يتفاوتون ، لكنّهم يتزاورون للاتّباع في الدنيا والاقتداء . وكلّ من فيها قد رزق الرضا بحاله .. " [1] .

* موازين الإيمان لا يعرفها إلاّ كمّل الرجال :

عَنْ زُهْرَةَ بْنِ مَعْبَدٍ عَنْ جَـدِّهِ قَـالَ : كُنَّا مَـعَ النَّبِيِّ ، وَهُـوَ آخِـذٌ بِيَـدِ عُمَـرَ بْنِ الخَطَّابِ ، فَقَالَ : وَاللـهِ لأَنْتَ يَا رَسُـولَ اللهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَـيْءٍ إِلاَّ نَفْسِـي ، فَقَالَ النَّبِيُّ : لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ عِنْدَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ ، قَـالَ عُمَـرُ :

1(?) ـ تفسير القرطبيّ 5/272 .

فَلأَنْتَ الآنَ وَاللــهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِــي ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ : الآنَ يَا عُمَرُ) [2] .

وليس الجديد عند عمر ، هو حصـول تلـك المحبّـة الراجحـة للنـبيّ ، وإنمـا الجديـد هـو إدراكه لتلك المحبّة والتفاته إليها ، وتقرير ذلك أنـه كـان في أول الأمـر قـد امتحن نفسـه أمـام حبّ الولــد والــزوج والعشــيرة ، والمســكن والتجـارة ، فوجـد حبّـه لهـذه الأشـياء مرجوحـاً بجانب حبّه للـه ورسـوله ، ولم يكن قـد جـرى بعــد في خــاطره حــديث المقارنــة بين حبّــه لرســول اللــه وحبّــه لنفسه ، فلم يجــرؤ أن يحكم فيـه بشـيء بـل اسـتثنى نفسـه من تلـك المقارنـة ، سـكوتاً عن الحكم بمـا لم يختـبر ، لا حكماً برجحان حبه لنفسه ، فلما نبّهـه النـبيّ ، فكّر وقارن وتحسّس حال قلبـه ، فـإذا هـو يجـد من رجحـان محبّتـه لرسـول اللـه على محبّتـه لنفسه ، ما كان غافلاً عنه ، لا ما كان خلواً منه ، فقولــه : (الآنَ يَا عُمَــرُ) ومعنــاه : الآن

2(?) ـ رواه الإمام أحمد في مسند الشاميّين برقم /17355/ .

أصـبت في قولـك ، وأحسـنت التعبـير عمـا في نفسك .

قال الإمام القرطبيّ رحمه الله تعالى : " كل من آمن بالنبيّ إيماناً صحيحاً ، لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبّة الراجحة ، غير أنهم متفاوتون ؛ فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظّ الأوفى ، ومنهم من أخذ بالحظّ الأدنى ، كمن كان مستغرقاً في الشهوات محجوباً بالغفلات في أكثر الأوقات ، لكن الكثير منهم إذا ذكر النبيّ اشتاق إلى رؤيته ، بحيث يؤثرها على أهله وماله وولده ، ويبذل نفسه في الأمور الخطيرة ، ويجد رجحان ذلك من نفسه وجداناً لا تردّد فيه .. والناس متفاوتون في محبّته ، بحسب استحضار ما وصل إليهم من جهته عليه الصلاة والسلام من النفع الشامل لخير الدارين ، أو الغفلة عن ذلك ، ولا شكّ أن حظّ الصحابة في هذا المعنى أتمّ ، لأن هذا ثمرة **المعرفة** ، وهم بها أعلم " .

* وعليّ المرتضى يكشف سرّ الخيريّة العظيم :

قـال عليّ : " كـان رسـول الله أحبّ إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمّهاتنا ، ومن المـاء البـارد على الظمأ " .

* وأمّهـات المؤمـنين يعلّمن مـوازين الـولاء والبراء : دخل أبـو سـفيان على ابنتـه أم حبيبـة أم المؤمنين رضي الله عنها ، في مدة صلح الحديبية ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول اللــه ، طوته عنه ، فقال : يابنيّـة ! مـا أدري أرغبت بي عن هذا الفراش ، أم رغبت به عني .؟ قالت : **بل هــو فــراش رســول اللــه ، وأنت امــرؤ مشرك نجس** ، فقـال لهـا : لقـد أصـابك بعـد أبيك شرّ .

* طاعة واتّباع وولاء لا يتزحزح :

وكــان من شــدّة طاعــة الصــحابة لــه ، والـتزامهم بـأمره ، أنـه نهى أهـل المدينـة عن كلام الثلاثة الذين تخلّفوا عن غـزوة تبـوك ، فمـا كـــان من النـــاس إلا أن أطـــاعوه ، وأصـــبحت المدينة لهـؤلاء كأنهـا مدينـة الأمـوات ، ليس بهـا داع ولا مجيب ، يقـــول كعب بن مالـــك : " .. ونهى رســول الله عن كلامنا أيّها الثلاثة ، مِن بينِ مَن تخلّفَ عنه ، قـالَ : فاجتنبَنا الناسُ ، أو قَالَ : تَغيّرُوا لنا ، حَتّى تَنكّرَتِ لي نفسُ الأرض ، فمَا هيَ بـالأرضِ الـتي أعرفُ .. إلى أن قَـــالَ : حَتَّى إِذَا طَـــالَ

عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْـوَةِ النَّاسِ مَشَـيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِـدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَـادَةَ وَهُـوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ فَسَـــلَّمْتُ عَلَيْـــهِ فَوَاللــهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّـلامَ فَقُلْتُ : يَا أَبَا قَتَادَةَ أَنْشُدُكَ بِاللهِ هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللـهَ وَرَسُولَهُ .؟ فَسَكَتَ ، فَعُـدْتُ لَـهُ فَنَشَـدْتُهُ فَسَكَتَ ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَقَـالَ : اللـهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ ، وَتَـوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الجِدَارَ ..) [1] .

ـ وكـــان من عجيب حبّه وطاعته ، وهو محـلّ عتـاب وجفـوة : أن رسـول الله ، أرسل إليه رسـولاً يقـول له : إن رسـول الله يـأمرك أن تعتزل امرأتك ، فقال : أطلّقها أم مـاذا أفعل .؟ فقــال : لا ، بل اعتزلها ، فلا تقربنّها ، فقــال لامرأته : الحقي بأهلك ، فكـوني عنـدهم ، حـتى يقضي الله في هذا الأمر .

فانظر أخي المـؤمن .! لو أنّ رسـول الله أمـرهم أن يطلّقوا نسـاءهم أما كـانوا يفعلـون ذلك بغير تردّد أو تلكّؤ ، ويثبتون بذلك إيثارهم

1(?) ـ رواه البخاري في كتاب المغازي برقم /4066/ .

لحبّ رسـول الله وطاعته على حبّ الزّوجة والرغبة فيها .؟!

ـ وكان أيضاً من حبّ كعب بن مالك للرسول ، وإيثاره على كل أحد في الدنيا ، وعلى إغراء الدنيا وفتنتها : أن ملك غسّان أرسل إليه يخطب ودّه ، ويستلحقه بنفسه ، وتلك من أعظم المحن في حال الجفوة والهجر ، ولكنه رفض ما عرض عليه ، ولم يتزعزع إيمانه وثقته وحبّه ، يقول : (.. قَالَ : فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّأْمِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالمَدِينَةِ يَقُولُ : مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ ، حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَاباً مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ ، فَإِذَا فِيهِ : أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلا مَضْيَعَةٍ ، فَالحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ ، فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا : وَهَذَا أَيْضاً مِنْ البَلاءِ ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ ، فَسَجَرْتُهُ بِهَا ..) [1] .

* ومن غرائب الطاعة للرسول وإيثاره على النفس والأهل والعشيرة : ما روى ابن جرير بسنده عن ابن زيد قال : دعا رسول الله عبد الله بن

1(?) ـ رواه البخاري في كتاب المغازي برقم /4066/ .

عبد الله ابن أبيّ ، قال : ألا ترى ما يقول أبوك .؟ ـ وأبوه هو رأس المنافقين ـ قال : ما يقول .؟ بأبي أنت وأمي ، قال : يقول : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ ، فقال : فقد صدق والله يارسول الله ، أنت والله الأعزّ ، وهو الأذلّ ، أما والله لقد قدمت المدينة يارسول الله وإن أهل يثرب ليعلمون ما بها أحد أبرّ مني ، **ولئن كان يرضي الله ورسوله أن آتيهما برأسه لأتيتهما به** ، فقال رسول الله : لا ، فلما قدموا المدينة قام عبد الله بن عبد الله ابن أبيّ على بابها بالسيف لأبيه ، ثمّ قال : أنت القائل : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ .؟ **أما والله لتعرفنّ العزّة لك أو لرسول الله ! والله لا يؤويك ظلّ ، ولا تأويه أبداً إلا بإذن من الله ورسوله** ، فقال : يا للخزرج .! ابني يمنعني بيتي ، يا للخزرج .! ابني يمنعني بيتي ، فقال : والله لا يأويه أبداً إلا بإذن منه ، فاجتمع إليه رجال فكلّموه ، فقال : والله لا يدخله إلا بإذن من الله ورسوله ، فأتوا النبيّ فأخبروه فقال : اذهبوا إليه فقولوا له : خلّه ومسكنه ، فأتوه فقال : **أما إذا جاء أمر النبي فنعم !** " .

* ومن عجائب المسارعة في الطاعة ، وسرعة الاستجابة ، والخروج عن أهواء النفس ومألوفاتها : **ما**

حدث عند نزول تحريم الخمر ، وكان بعض الصحابة في مجلس شرب ، فبلغهم الخبر وبعض القوم شربته في يده ، شرب بعضاً ، وبقي بعض في الإناء ، فقال بالإناء تحت شفته العليا كما يفعل الحجّام ، ثم صبّوا في باطيتهم وقالوا : **انتهينا ربّنا .! انتهينا ربّنا .!**

* ثمرات لا تفنى ، وعجائب لا تبلى : وبعد ؛ فلا يـزال الحبّ الصـادق ، يثمـر على مـرّ القـرون ثمراتـه الطيّبـة المباركـة ، ويتخـرّج في مدرسـته العامرة كبار الأئمّة الربّانيين ، والأبـرار المتقين ، من مختلـف طبقـات الأمّـة ، الـذين ضـربوا أبلـغ الأمثـال ، وقـدّموا أرقى النمـاذج في الطاعـة والانقيـاد ، والتضـحية والفـداء ، فهـذا رجـل من السـلف يقـول : **" والله ! لو أمرنا رسـول الله ، بقطع الأعنـاق لقطعناها "** .

ـ وإنّ لسان المحبّ ليردّد في كـلّ حـال مع من قبله من المحبّين الصادقين :

عذابُه فيكَ عذبُ وبعدُه فيكَ قُربُ
وأنتَ عِندي كرُوحِي بل أنتَ مِنها أحَبُّ
حسبي مِن الحبِّ أنّي لما تحِبُّ أُحبُّ

بحبّكَ أصفُو وَالحيَاةُ مَريرةٌ وَبِاسمِكَ أسلُو وَالأنامُ غِضَابُ
وَلَيتَ الذِي بَيني وَبَينَكَ عَامِرٌ وَبَيني وَبَينَ العَالمِينَ خَرابُ
إذا صَحَّ مِنكَ الوُدُّ فَالكُلُّ هَيِّنٌ وَكُلُّ الذِي فَوقَ التُّرَابِ تُرابُ

* ومن آثار المحبة الصادقة الشوق إلى لقـاء الله والتعلّل بالرجاء :

قال الله تعالى : { من كان يرجو لقـاء الله فإن أجل الله لآتٍ .. (5) } العنكبوت .

قيل : هذا تعزية للمشتاقين وتسلية لهم .

أي : أنا أعلم أن من كان يرجو لقـائي فهـو مشـتاق إليّ ، فقـد أجّلتُ لـه أجلاً يكـون عن قريب ، فإنّه آتٍ لا محالة ، وكل آتٍ قريب .

وفيه لطيفة أخرى ، وهي تعليل المشتاقين برجاء اللقاء :

لولا التعلل بالرجاء لقُطّعت نفس المحب صبابة وتشوّقا
حتى إذا رَوْحُ الرجاء أصابه سكن الحريق إذا تعلّق باللقا

وقد روي عن بلال أنه لما حضـرته الوفـاة بكت بعض بناته ، وقلن : واحزناه .! فأفاق وقال

** : " بل واطربـــاه .! غـــداً ألقى الأحبّة ، محمّداً وصحبه " .**

* وختاماً : إنه لا حياة للقلب إلاّ بمحبّة الله تعـالى ، ومحبّـة رسـوله ، ولا عيش إلاّ عيش المحبّين ، الـــذين قـــرّت أعينهم بحـــبيبهم ، وسكنت نفوسهم إليـه ، واطمـأنّت قلـوبهم بـه ، واستأنسوا بقربه ، وتنعّموا بمحبّته ، ففي القلب فراغ لا يسدّه شيء إلا محبّة الله تعالى ، ومحبّة رسـوله ، ومن لم يظفـر بـذلك فحياتـه كلّهـا هموم وغموم ، ونكد وكدر ، وآلام وحسرات .

قـال الإمـام ابن القيّم رحمـه اللـه تعالى :

" ولن يصل العبد إلى هذه المنزلة العليّة ، والمرتبة السنيّة ، حتى يعرف الله ، ويهتدي إليه ، بطريق توصله إليه ، ويخرق ظلمات الطبع بأشعّة البصيرة ، فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة ، فينجذب إليها بكليّته ، ويزهد في التعلّقات الفانية ، ويدأب في تصحيح التوبة ، والقيام بالمأمورات الظاهرة والباطنة ، وترك المنهيّات الظاهرة والباطنة ، ثمّ يقوم حارساً على قلبه ، فلا يسامحه بخطرة يكرهها الله تعالى ، ولا بخطرة فضول لا تنفعه ، فيصفو بذلك قلبه بذكر الله ومحبّته والإنابة إليه ،

فحينئذ يجتمع قلبه وخواطره وحديث نفسه ، على إرادة ربه وطلبه والشوق إليه ، فإذا صدق في ذلك رزق محبّة الرسول ، واستولت روحانيّته على قلبه ، فجعله إمامه وأستاذه ومعلّمه وشيخه وقدوته ، كما جعله الله نبيّه ورسوله وهاديه ، فيطالع سيرته ، ومبادئ أموره ، وكيفيّة نزول الوحي عليه ، ويعرف صفاته وأخلاقه ، وآدابه وحركاته وسكونه ، ويقظته ومنامه ، وعبادته ومعاشرته لأهله وأصحابه إلى غير ذلك مما منحه الله تعالى حتّى يصير كأنّه معه من بعض أصحابه " .

* والصحبة الصالحة هي السبيل وهي العون والدليل :

واعلم أخي المؤمن .! أنّه لا سبيل لك يبلّغك ذلك ، ولا وسيلة تسير بك إلى هذه الغاية الجليلة ، وتختصر لك الطريق كلّه سوى الصحبة الصالحة ، صحبة أهل العلم والإيمان ، والخشية والإحسان ، صحبة من يذكّرك بالله حاله ، وينهض بك إلى الله مقاله ، من إخوان الصدق ، ودعاة الحقّ ، الذين عرفوا الدنيا على حقيقتها ، فتجرّدت قلوبهم عن أعراضها الفانية ، وزهدوا بحطامها الزائل

، وأقبلت قلـوبهم على الآخـرة بعـزم وهمّـة ، وامتلأت منهـــا ، إنهم أهـــل الطاعـــة والحبّ والاتّبــاع ، الــذين ســلكوا الطريــق قبلــك ، وعرفوا مداخله ومخارجه ، وعقباته وغوائله ، إنهم لا تراهم إلاّ في أسنى الأحوال الإيمانيّة ، والمنازل العليّة ، هم أهل الصدق في الطاعة لله تعالى ، والاتّباع لرسوله ، والنصـح لعبـاد الله ، والشفقة عليهم .

وقد زهد بمثل هذه الصحبة كثير من الناس في هـــذا العصر ، وظنّـــوا أنهم يســـتطيعون الاستعاضة عنها بالرجوع إلى الكتب ، وجمعها ومطالعتها ، ولو كان البلاغ لـدين اللـه تعـالى تغني عنه الكتب ، لشاء اللـه تعـالى أن يـنزل على عبــاده من كتابـــه الكـــريم نســـخاً ، يقرءونها ، ويكون لهم البلاغ بهـا ، وتقـوم بهـا الحجّة عليهم ، ولكن الأسوة في حيـاة البشـر لابدّ منها ، وقضى الله أن يكون التـأثير بالحـال أعظم من التأثير بالمقال ، وإن هذا العلم دين ، فــانظروا عمّن تأخــذون دينكم . والله يقــول الحقّ ، وهو يهدي السبيل .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

* رجــاء محبّ : وبعد ؛ فلا أحســبك يــا أخي .! إذا كنت محبّاً صادقاً أن تكتفي بقراءة هذه الرسالة مرّة واحدة .. فإن هي إلاّ ذكرى لمحبّ بمن يحبّ ، ولا أحســب المحبّ يمــلّ من ذكــرى حبيبــه ، ومــا أحوجنــا إلى تجديــد الذكرى .!

وإذا كنت انتفعت بهذه الرسالة ، فما أحراك أن تخصّ كاتبه بدعوةٍ صالحة ، أن يتقبّله الله منه ، ويجعله نوراً في ميزان حسناته ، وذخراً له يوم يفرّ من سيئاته ، وأن تدعو لوالديّ ولمشايخي وللمسلمين ، ولنفترق على عهد صادق .. عهد الحبّ في الله تعالى ، أوثق عرا الإيمان ، وأخلص علائق الحياة وأصفاها ؛ فإني أحبّك في الله ، فلا تنسني ياأخيّ من دعائك .! وأستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك ، والله يتولاّنا وإيّاك برحمته وهداه ..

* دعاء وضراعة

جاء في جامع الترمذي عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ : كَانَ مِنْ دُعَاءِ دَاوُدَ يَقُولُ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ

وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَالْعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَأَهْلِي وَمِنْ الْمَاءِ الْبَارِدِ قَالَ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا ذَكَرَ دَاوُدَ يُحَدِّثُ عَنْهُ قَالَ كَانَ أَعْبَدَ الْبَشَرِ) [1] .

وعَنْ عَبْـــدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيـــدَ الْخَطْمِيِّ الأَنْصَــارِيِّ عَنْ رَسُــولِ اللـــهِ أَنَّهُ كَـانَ يَقُـــولُ فِي دُعَائِهِ : (اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْـــدَكَ ، اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْـهُ قُــوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ ، اللَّهُمَّ وَمَا زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ فَرَاغاً لِي فِيمَا تُحِبُّ) [2] .

اللهم إني أســألك حبّك وحبّ عبــدك ونبيّك محمّد ، وحبّ من يحبّك ، والعمل الـــذي يبلغـــني حبّك ، اللهم اجعل حبك أحبَّ إليَّ من نفسي ، وأهلي ومـالي ، ومن الماء البارد على الظمأ .

1(?) ـ رواه الترمـذي في كتـاب الـدعوات عن رسـول الله برقم /3412/ وقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ .

2(?) ـ رواه الترمـذي في كتـاب الـدعوات عن رسـول الله برقم /3413/ وقَـالَ : هَـذَا حَـدِيثٌ حَسَـنٌ غَـرِيبٌ وَأَبُو جَعْفَـرٍ الْخَطْمِيُّ اسْمُهُ عُمَيْرُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ خُمَاشَةَ .

اللهمّ حبّب إلينا الإيمان ، وزيّنه في قلوبنا ، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين .

اللهُمّ يا حبيبَ التائبينَ ، ويا سرورَ العابدين ، ويا قُرّةَ أعينِ العارفين ، ويا أنيسَ المنفردين ، ويا حِرزَ اللاجئين ، ويا ظَهر المنقطعِين ، ويا مَن حنّت إليهِ قلوبُ الصدّيقين ، اجعلنا مِن أوليائِكَ المقرّبينَ ، وحِزبِك المفلحين .

سُبحانَ مَن نوّرَ بمعرفتِه قلوبَ أحبابِه ، وطهّرَ سرائرَهم فتمتّعُوا بخطابِه .. يا خيبةَ مَن لم يؤيّدْه الحكيمُ الحليم ، يا حسرةَ مَن لم يقبلْه الملِكُ العظيم ، يا مُصيبةَ مَن فاتَه هذا الجودُ العميم .

اللهُمَّ يا حبيبَ كلِّ غرِيب ، ويا أنيسَ كلِّ كئِيب ..

أيُّ منقطعٍ إليكَ لم تكفِه بنعمتِك ؟

أم أيُّ طالبٍ لم تلقَه برحمتِك .؟

أم أيُّ محبٍّ خلا بذكرِك فلم تُؤنِسْه .؟

أم أيُّ داعٍ دعاكَ مُضطرّاً فلم تجِبْه .؟

رَبِّ كمْ مِن نعمةٍ أنعمتَ بها عليَّ قلَّ لكَ عندَها شُكري ، وكمْ مِن بليّةٍ ابتليتَني بِها قلَّ لكَ عندَها صبري ، فيا مَن قلَّ عندَ نعمتِه شُكري فلم يحرِمني ، ويا مَن قلَّ عندَ بليّتِه

صبري فلَم يخذُلني ، ويا مَن رآني علَى المعاصِي فلمْ يفضَحني ، ويا ذا النعمِ التي لا تُحصَى أبداً ، ويا ذا المعروفِ الذي لاَ يَنقطِعُ أبداً ، اغفر لي جرائِمي وتَفريطي ، وأعِنّي على دِيني بدُنياي .

اللهُمَّ يا مَن يملِكُ حوائِجَ السائلين ، ويَعلَمُ ضَمائِرَ الصامتين ، يا مَن ليسَ معهُ ربٌّ يُدعَى ، ويا مَن ليس فوقهُ خالقٌ يُخشَى ، ويا مَن ليسَ لهُ وَزيرٌ يُؤتَى ، ولا حاجِبٌ يُرشَى ، يا مَن لا يزدادُ على كَثرةِ السؤالِ إلاّ جُوداً وكرماً وعلى كثرةِ الحوائجِ إلاّ تَفضّلاً وإحساناً .

اللهُمَّ يَا مَن لا يَشغلُه شأنٌ عَن شأنٍ ، ولا سَمعٌ عن سمع ، ولا تَشتبِهُ عليهِ الأصواتَ ولا تختَلِفُ عليهِ اللغات ، ولا تُغلِّطُه المسائل .

يا مَنْ لا يُبرِمُه إلحاحُ الملحِّين ، ولا تُضجِره مَسألةُ السائلين ، أذقْنا بَردَ عفوِك ، ولذّةَ مناجاتِك .

إلهِي قد وجدتُكَ رَحيماً ، فكيفَ لا أرجُوك .؟ ووجدتُك ناصِراً مُعيناً ، فكيفَ لا أدعُوك .؟

إلهِي مَن لي إذا قطعتني .؟ ومَن ذا الذي يَضُرُّنِي إذا نَفَعتَني ؟ ومَن ذا الذي يُعذِّبني إذا رَحِمتَني ؟ ومَن ذا الذي يَقرَبُني بِسُوءٍ إذا نجَّيتَني .؟ ومَن ذا الذي يُمرِضُنِي إذا عافيتَني ؟

يا ذا الجلالِ والإكرام ، يا عزيزُ لا تحيطُ بجلالِه الأوهام ، يا مَن لا غِنىً لشيءٍ عنه ، وهو الغنيّ عن كُلّ شيءٍ ، يا مَن لابُدَّ لِكلِّ شَيءٍ منه ، يا مَن رِزقُ كلِّ شَيءٍ عليه ، ومَصِيرُ كُلِّ شيءٍ إليه ، يا مَن يُعطي مَن لا يَسألُه ، ويجودُ على مَن لا يُؤمِّلُه ، ها نحنُ عبيدُكَ الخاضعونَ لهيبتِك ، المتذلّلونَ لعزِّك وعظمتِك ، الراجُون جميلَ رَحمتِك وعَفوِك ، أمرتَنا ففرَّطنا ، ولم تَقطَعْ عنّا نِعمَك ، ونَهيتَنا فعَصينا ولم تَقطَعْ عنّا كرمَك ، وظلَمْنا أنفسَنا مَعَ فقرِنا إليك ، فلم تقطعْ عنّا غِناكَ يا كريم .

اللهُمَّ أنتَ أحقُّ مَن ذُكر ، وأحقُّ مَن عُبِد ، وأنصرُ مَن ابتُغِيَ ، وأرأفُ مَنْ ملَكَ ، وأجودُ مَن سُئل ، وأوسعُ مَن أعطى .

أنتَ الملِكُ لا شَريْكَ لك ، والفردُ لا ندَّ لك ، كلُّ شيءٍ هالكٌ إلاّ وجهَكَ ، لن تُطاعَ إلاّ بإذنِكَ ، ولنْ تُعصَى إلاّ بِعلمِكَ ، تُطاعُ فتَشكُرُ ، وتُعصَى فتَغفِر .

تمّ نورُك فهديتَ فلَكَ الحمدُ ، عظُمَ حِلمُكَ فعفوتَ فلَكَ الحمدُ ، بَسطتَّ يدَك فأعطيتَ فلَكَ الحمدُ ، ربَّنا وجهُك أكرمُ الوجُوهِ ، وجاهُك أعظمُ الجاه ، وعطيّتُك أفضلُ العطيّة وأهناها .

تُطاعُ ربَّنا فتَشكرُ ، فلكَ الحمدُ ، وتُعْصَى ربَّنا فتَغفرُ ، فلكَ الحمدُ ، وتُجيبُ المُضطَرَّ ، وتَكشِفُ الضُّرَّ ، وتَشفي السقم ، وتَغفرُ الذنبَ ، وتقبلُ التوبةَ ، ولا يجزِي بآلائِك أحدٌ ، ولا يَبلغ مِدحتَك قولُ قائِلٍ .

سُبحانَكَ يا ربِّ فيكَ المرغُوب ، ومِنْكَ المطلُوبُ والمرهُوب ، أنتَ الحقُّ الَّذِي لاِ حَقَّ سِواه ، ولا معهُ غيرُه ولا شَيءَ لولاه ، لَكَ العظمَة والسُّلطان ، والمُلكُ والقدرةُ ورِفعةُ الشان .

خلقْتَ الخلْقَ رحمةً مِنكَ مِن غيرِ حاجةٍ لكَ فِي خلْقِهم ورزقِهم ، ومددتَهم بما شِئتَ مِنَ النعم ، وتكفّلتَ بأجلِهم ورزقِهم .

إلهِي لكَ الحمدُ وسِعتَ كُلَّ شَيءٍ رَحمةً وعِلماً ، غَفرتَ الذنُوب ، وسترتَ العُيُوب ، حَناناً منكَ ورأفةً وحِلماً .

اللهُمَّ إنّكَ وليٌّ حَميد ، جَواد وفيٌّ مجيد ، كاشفُ الكرُبات ، وباسِطُ الخيرات ، ومُغدِقُ البرَكَات ، ومجيبُ الدعَوات ، ورَبُّ الأرضينَ والسموات ، قولُكَ الحقّ ، ووَعدُك الصدق ، وقد وعدتَّ بالنجاةِ عبادَك المؤمنين ، لا إلهَ إلاّ أنتَ سبحانَك إنّي كُنتُ مِن الظالمين .. وَعدَكَ وَعدَك يا رَبَّ العالمَين .

اللهُمَّ يا سابقَ الفَوتِ ، ويا سامِعَ الصوت ، ويا كاسِيَ العِظامِ لحماً بعدَ الموت ، أنتَ ربّي ورَبُّ الأربَاب ، ومُسيّرُ السحَاب ، ومُعتِقُ الرقاب .

اللهُمَّ يا أرحمَ الراحمينَ ، يا رحمنَ الدنيا والآخرةِ ورَحِيمَهُما إنّي عَبدُكَ ببابِك ، ذَليلُكَ بِبابِكَ ، أسيْرُك بِبابِك ، مِسكِينُكَ بِبابِك ، ضَيفُك بِبابِك ، يا رَبَّ العالمين ، عَبدُكَ الطالح بِبابِك ، يا غياثَ المُستَغِيثين ، مَهمُومُك بِبابِك ، يا كاشفَ كُرَبِ المكرُوبين .

إلهي ! أنتَ الغافرُ وأنا المُسيءُ ، وهَل يَرحَمُ المُسيءَ إلاّ الغافِرُ ؟

إلهي ! أنتَ الربُّ وأنا العبدُ ، وهل يَرحَمُ العبدَ إلاّ الربّ ؟

إلهي ! أنتَ المالِكُ وأنا المملُوكُ ، وهل يَرحَمُ المملُوكَ إلاّ المالِك ؟

إلهي ! أنتَ العزيزُ وأنا الذليلُ ، وهل يَرحَمُ الذليلَ إلاّ العزيز ؟

إلهي ! أنتَ الكريمُ وأنا اللئيمُ ، وهل يَرحَمُ اللئيمَ إلاّ الكريم ؟

إلهي ! أنتَ الرزّاقُ وأنا المرزُوقُ ، وهل يَرحَمُ المرزوقَ إلاّ الرزّاق ؟

أنتَ تَعلمُ سِرّي وعَلانيتي فاقبلْ مَعذرَتي يا إلهي !

آهِ مِن كثرةِ الذنُوبِ والعِصيان ! آهِ مِن وحشةِ الجفاءِ والحِرمان .!

آهِ مِن الإفلاسِ يَومَ تُكشَفُ الأستار ، وتَفضَحُ الأوزارُ ، ولاَ يَنْفَعُ اعتذار !

اللّهُمَّ اجعلني ممّن يحبُّك ، ويحبُّ مَلائكتَك ، ويحبُّ رُسُلَك ، ويحبُّ عِبادَكَ الصالحين .

اللّهُمَّ حَبّبني إليكَ ، وإلى مَلائكتِكَ ، وإلى رُسُلِكَ ، وإلى عِبادِك الصالحين .

سُبحانَكَ اللهُمَّ ربّنا وبحمدِكَ ، وتباركَ اسمُكَ ، وتعالى جدّكَ ولا إله غيرك .

❁

بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ، وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ونبيّه سيّدنا محمّد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، والحمد لله ربّ العالمين .

❁ ❁ ❁

أهمّ المراجع

ـ القرآن الكريم .
ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . محمّد فؤاد عبد الباقي .
ـ التفسير الكبير . للأمام الرازي .
ـ رياض الصالحين . للإمام النووي . طبعة محقّقة .
ـ السيرة النبويّة . لابن هشام .
ـ الإيمان بالرسل ، للشيخ أحمد عزّ الدين البيانوني .
ـ الطريق إلى المدينة للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي .
ـ علّموا أولادكم حبّ النبيّ ﷺ . للدكتور محمّد عبده يماني .
ـ فتح المجيب في مدح الحبيب . للشيخ عيسى البيانوني .
ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي .
ـ مجموعة العبادات في الفقه الحنفي للشيخ أحمد عزّ الدين البيانوني .
ـ مدارج السالكين . للإمام ابن قيّم الجوزيّة .
ـ المواهب اللدنيّة للزرقاني .

ـ دراسات غير منشورة ومن ملفّـات خطب الجمعة للمؤلّف .

المحتوى

* صدر للمؤلّف *

1 ــ ضـرب الأمثـال في القـرآن أهدافـه التربويّـة وآثاره .
2 ـ وجوب وحدة المسلمين .
3 ـ رسالة المعلّم وآداب العالم والمتعلّم .
4 ـ اعرف نبيّك محمّداً يا بنيّ .!
5 ـ ومضات من هدي النبيّ الخاتم .
6 ـ البيّنات في تفسير سورة الحجرات .
7 ـ المنهج القويم للداعية الحكيم .
8 ـ مشاهد الأتقياء في الصبر على الابتلاء .
9 ـ رسالتان في التربية .
10 ــ قصص وعبر من لطائف القدر . المجموعة الأولى .
11 ــ قصص وعبر من عجائب القدر . المجموعة الثانية .
12 ـ حديث القلب .
12 ـ النصائح الذهبيّة لتربية الأولاد ورعايتهم .
13 ــ قبسات من نور النبوّة لصاحبي الفضيلة : الشيخ أحمد عزّ الدين البيانوني ، والشيخ عبد الفتّاح أبو غدّة رحمهما الله تعالى . بعناية د. عبد المجيد البيانوني ، وفي ختامه رسالة : " ومضات من هدي النبيّ الخاتم " .
14 ـ تذكرة العابد بحقوق المساجد .
15 ـ أساليب تربويّة ومفاهيم دعويّة من حياة الشيخ أحمد عزّ الدين البيانوني .
16ــ ركائز دعويّة من هدي النبيّ في العلاقات الاجتماعيّة .

17 ـ القول المبين في تفسير سورة : " يس " .
18 ـــ لمحـــات من حيـــاة الشـــيخ أحمـــد عـــزّ الـــدين البيانوني وتعريف بمؤلّفاته .
19 ـ مواقف تربويّة من هدي النبيّ مع الأطفال .

